النيّل عبد القادر أبو قرون

انقلاب المُسلمين على رسالة خاتم النبيين

مؤسسة أونيكس للتواصل الفكري
بريطانيا ٢٠٢١

مفتتح

أحمد الله العليّ العظيم على توفيقه لي في خطّ هذا الكتاب، بعد أن أمدّني بفيوضاته، وأسبل عليّ من حلل نعمائه، وأفضل الصلاة على النبيّ الكريم، الممدوح من ربّه بالخلق العظيم، الذي صلّى الله عليه وملائكته قبل أن يكون آدم بين الماء والطين، وأمرنا أن نصلّي عليه، وأن نسلّم له تسليماً كثيراً، فاللهم صلّ على الحبيب المصطفى وبارك عليه وعلى والديه وآله.

وبعد،

فقد انشغلت في كتبي السابقة، عبر ما يزيد عن نصف قرن من البحث الدقيق، والتدبّر العميق، في رصد ما جرى للنبيّ العظيم من إساءات كثيرة، وانتقاص من قدْره من الذين حوله من المنافقين والكارهين، وكيف نقل لنا الموروث الذي وصلنا هذه الإساءات، سواء وردت في التفاسير القرآنية البشرية، أو في الأحاديث المنسوبة للنبيّ نفسه، والتي تناقض في كثير منها صريح القرآن، وتنتقص بشكل جليّ من العصمة المحمّدية، أما في كتابي هذا فإضافة إلى ما سبق، مما أشرت إليه، فقد وجدت أنّه قد آن الأوان للتصريح بحدوث انقلاب حقيقي على الرسالة الخاتمة بعد رحيل النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله، إذ تمّ تحويل الدين من رسالة للناس كافّة تنتشر في أرض الله الواسعة، وتكون رحمة للعالمين، إلى دولة ذات جغرافيا سياسية محدودة، سميّت خطأ "دار الإسلام"، وإمارة تسلّطيّة باسم الله على أساس أنّها "خلافة راشدة"، ومن أجل المحافظة على هذا الكيان الجديد، بدأ الخليفة بابعاد الناس عن نبيّهم، كما وصلنا في الموروث، فمن كان يعبد "محمّداً" فإنّه قد مات وانتهى عهده – حسب البيان الأول للانقلاب -، فهذا عهد جديد مختلف، وبالتالي فإنّ ما جرى بعد ذلك هو تبدّلات رئيسة، أزاحت الهدف الرئيسي للرسالة الخاتمة عن موضعها الذي بعثها الله من أجله، ونقلت أتباعها من الذين آمنوا إلى دولة ذات حروب تقتل الناس باسم الفتوحات وباسم الردّة، وهذا ما قاد إلى نشر الدين بالإكراه، مخالفاً بذلك حريّة الإنسان في المعتقد والحريّة والأمن، والتحرّك في أرض الله الواسعة دون أي إكراه أو خوف.

ومن الواضح أن الله تعالى أشار إلى هذا الانقلاب في قرآنه الكريم، فهو وحي يوحى، ويعلم المستقبل وما سيجري، فقد قال تعالى: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) آل عمران، والحقيقة المرّة التي ينبغي عدم التساهل في ذكرها، أو التقليل من شأنها أنّ هذا الانقلاب على العقبين، والانفضاض عن الإسلام المحمّدي قد حصل بعد رحيل النبيّ، سواء بالموت الطبيعي، أو بالقتل، كما أشار القرآن إلى ذلك صراحة،

فثمّة احتمال وردتنا تفاصيله في الموروث عن انتقال النبي العظيم بالمرض إثر السمّ، ومن هنا ذكر الله الاحتمالين، فقد بدا لبعضهم موتاً طبيعياً، ولآخرين قتلاً، ولا يمكننا أن نقتصر هذه الآية على ما جرى في معركة أحد، فيصبح النص القرآني تاريخياً لا يصلح لكّل زمان، كما يريد بعض من لا يتدبّر آياته، وعظيم معجزاته.

لقد تناولت في كتابي هذا مجموعة من الموضوعات، بدأتها بالتفريق بين "الأعراب والعرب"، وكيف أن النبيّ العظيم صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لا يمكن أن يكون أعرابياً لأنّ الله أشار إلى الأعراب في غير موضع من كتابه بالتقريع والقدح، وأنّهم أشدّ كفراً ونفاقاً، وهم أكثر من سبب الأذى لنبيّه، كما أوضحت في موضوع آخر "إساءات المفسّرين وأهواء المتأولين"، وتحريفهم الكلم عن مواضعه، عبر ما وصلنا من كوارث الموروث، كما بيّنت أهمية "تدبّر القرآن" وهذا يكون بالترتيل للآيات المتشابهة عبر جمعها معاً في رتل واحد لفهم معانيها، أما فصل "القلوب التي تعقل" فقد أشرت من خلاله إلى الارهاب العلمي اليوم الذي يمارس على من يفهم كلام الله الصريح، ومن ذلك أنّ القلوب التي في الصدور هي التي تعقل، وقد يكون لها أقفال أيضاً عن الفهم والتدبّر، وفي "العلم بالمستقبل" أظهرت أنّه لا يدخل في الغيب، فإنّ غيب الزمان الماضي والحاضر والمستقبل قد يكون متاحاً لمن يفتح الله عليه من البشر، أو أوتي حظاً من العلوم الحديثة، وهو ليس "الغيب" المقصود في القرآن وغير المتاح للبشر.

كما رصدت في "الصحبة وأحوالها" المعاني التي وردت في القرآن عن "الصاحب"، وأنّه قد يكون كافراً، وأنّ من الأصحاب من هو مؤمن ومن هو منافق، فلا ينبغي التعميم بصلاح الأصحاب جميعاً، وهذا وارد في النص القرآني والأحاديث النبوية، أما موضوع "الرسل والقتال" فقد بدا واضحاً من التفاصيل الكثيرة الفرق الهائل بين حكم الأمير أو الملك وحكم النبيّ أي شريعته، وهي التي لا يكون فيها إكراه للآخرين، وليست سلطة دينية أو مدنية على الناس، بعكس سلطة الحاكم التي تحتاج إلى قوّة وجند لفرضها، وفي هذا الفصل أمثلة جليّة مما جرى في الإسلام بعد رحيل النبيّ صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله، وقد أشرت إليها بالتفصيل في موضوعين آخرين في الكتاب هما "الحكم عند المرسلين" و "لا إسلام لمكره". إنّ "حرية الإنسان وأمنه" وسلامة نفسه هي الرسالة الخاصّة لكلّ بني البشر، وهي مفروضة عليهم، فمن لم يجد ذلك في وطنه الجغرافي المحدود، فعليه أن يهاجر لأنّ أرض الله واسعة.

إن الكثير من المسلمين اليوم يفهمون "الجهاد في سبيل الله" فهماً خاطئاً، أي بمعنى قتال الآخرين من غير المسلمين، وهذا مفهوم غير صحيح، وقد جرّ الويلات على المسلمين وعلى غيرهم من الأمم بسبب ذلك، وقد خصّصت مبحثاً في هذا الكتاب الذي بين أيديكم لتصويب هذا الفهم، كما ختمته بموضوع إشكالي وخطير هو "تبدلات الأهلة " وذلك في العهد العمري حين تمّ ربط الأشهر القمرية بالشمسية دون مراعاة النسيء، وذلك بجعل الأهلة هي الأشهر، وهذا ما قاد بالتالي إلى زحف الأشهر القمرية عن مواعيدها

السنوية الثابتة، ومواسمها التي عرفت بها بحيث أصبحت تدور على مدار العام، وهذا ما أدّى بالتالي إلى دوران شهر الصيام والحج أيضاً، وساهم في تشتيت الأمّة عن أوقات عبادتها الحقيقية، وهو موضوع شائك وخطير كما أسلفت بحاجة إلى تصحيح.

وأسأل الله العظيم بحقّ نبيّه الكريم، الرؤوف الرحيم، أن يتلّقى هذا الكتاب كلّ راغب بمعرفة الحق، ونصرة الحقيقة، حتى يفتح الله ما قفل من قلبه، ويزيح ما ران عليه من كدر الموروث، وصلى الله على الحبيب محمّد وبارك عليه ووالديه وآله.

النبيّ العربي والأعراب

أظهر لنا الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم عظمة النبيّ محمّد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله الذي أنزل عليه هذا القرآن، ولو أنزله على جبل ﴿**...لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ...**﴾[1] فأين مَثل ثبات الجبال من عظمة ثبات النبيّ، حيث قال تعالى ﴿**...وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[2] ولم يؤمر النبي العظيم بتبليغ القرآن قبل الوحي إذ قال له تعالى ﴿**...وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ...**﴾[3].

وأنزل إليه الذكر أي العِلم الحقّ ليبيّن للناس ما نُزّل إليهم ﴿**...وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ...**﴾[4] فأهل الذِكر هم أهل العِلم الحقّ قال تعالى ﴿**...فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ...**﴾[5]، وبما أنّ الرسول صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله هو مدينة العِلم كما قال "**أنا مدينة العِلم وعليّ بابها**"[6] فهو أصل الذِكر، أي العِلم الحقّ قال تعالى ﴿**...قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَّسُولًا...**﴾[7] فهو الذي يبيّن للناس ما نُزّل إليهم ليتفكّروا في آيات الله، إذ لا بدّ من التبيين للناس ما نُزّل إليهم لعلهم يتفكّرون، أي العِلم بما في القرآن وكان خُلقه القرآن، وعِلم القرآن لا يُدرك إلا بالتفكُّر والتدبُّر لا بحِفظ حروفه.

ومن يتدبّر القرآن يجد أنّ هناك من الملائكة من لم يسجد لآدم مع تأكيد قول الله سبحانه والإيمان به ﴿**فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ**﴾[8] يعرف ذلك من قول الله سبحانه لإبليس حينما رفض السجود لآدم ﴿**...أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ**﴾[9] فإنّ الملائكة العالين هم الذين لا يسجدون إلا لوجه الله سبحانه. فالملائكة الذين سجدوا لآدم بعد أن نفخ الله فيه من روحه رأوا النور المحمّدي فيه فكان سجودهم لآدم لما كان فيه من نوره. وأما الملائكة العالون فلا يسجدون لغير وجه الله؛ فسجودهم هنا سيكون مقروناً بآدم لذلك لم

---

[1] سورة الحشر : ٢١
[2] سورة الحشر : ٢١
[3] سورة طه : ١١٤
[4] سورة النحل : ٤٤
[5] سورة النحل : ٤٣-٤٤
[6] الحاكم
[7] سورة الطلاق : ١٠-١١
[8] سورة الحجر : ٣٠
[9] سورة ص : ٧٥

يسجدوا لآدم، ولكن بما أنّ سجودهم كان لوجه الله، ومحمّد صلى الله وبارك عليه ووالديه واله هو من نور وجه الله، فقد كان سجودهم له سابقاً لأولئك الذين سجدوا لآدم بعد النفخ فيه، فصدق قوله تعالى **﴿فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾**.

وبالوحي يُفرق القرآن ليقرأه النبيّ على الناس على مُكث **﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاه ُلِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ...﴾**[١٠] **﴿...وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً ﴾**[١١] **﴿...لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ...﴾**[١٢] ويسّره بلسانه **﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ...﴾**[١٣] لتجري القراءة على لسانه بعد الوحي **﴿...قَوْلًا مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾**[١٤] **﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾**[١٥]. ويكون القرآن المُنزّل من الله بلسان النبيّ العربي المُبين. وبما أنّ كلّ رسول أُرسِل بلسان قومه فمحمّد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله، أُرسِل للناس كافّة، لهذا فإنّهم قومه أي "الناس كافّة"، وليس الأعراب خاصّة كما يظن بعضهم. والقرآن بهذا اللسان هو الذِكر المحدث **﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾**[١٦] **﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾**[١٧] فاللسان العربي هو القول الذي أُنزِل به القرآن **﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾** كافّة للناس إلى يوم البعث لا لعِرق محدد. فهو لسان العرب وليس الأعراب لأنّه قول الحقّ بلسان النبيّ للناس أجمعين رغم اختلاف ألسنتهم، لا يتغيّر إلى يوم القيامة. فقوم محمد الذين أُرسِل إليهم هم الناس كافّة. واللسان العربي هو الذي يتكلّم به أكثر الناس في آخر الزمان، ويتكلّم به عيسى عليه السلام عند ظهوره كهلاً.

إذا كانت العربية هي اللسان، كما قال صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله **"... فمن تكلّم بالعربية فهو عربي"**[١٨] فهي القول الذي أُنزِل به القرآن كافة للناس. فلا يُنسب اللسان العربي إلى الأعراب وحدهم، فالعربيّ هو كل من يتحدث بهذا اللسان العربي، ولو كان إفريقياً، أو أوروبياً، أو آسيوياً، أو أمريكياً، أو من حتى الجنّ أو أيّ مكان آخر، لأنّه القول الذي أُنزل به القرآن للعالمين جميعاً رغم اختلاف ألسنتهم.

فالأعراب عِرق ولا ينحصر في سكان البادية، وقد يكون الأعرابي بدوياً أو حضرياً. فالبادية هي المكان الأبعد. وليس كلّ من يسكنها، أو جاء من البدو يكون أعرابياً. قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام حين مجيء والديه إليه **﴿...وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ...﴾**[١٩] أي من ذلك المكان، وما كان يعقوب عليه السلام الذي جاء من البدو أعرابياً. قال تعالى **﴿...وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ**

---

[١٠] سورة الإسراء : ١٠٦
[١١] سورة الإسراء : ١٠٦
[١٢] سورة ص : ٢٩
[١٣] سورة مريم : ٩٧
[١٤] سورة يس : ٥٨
[١٥] سورة المزمل : ٥
[١٦] سورة الشعراء : ٥
[١٧] سورة ص : ٨٨
[١٨] ابن عساكر
[١٩] سورة يوسف : ١٠٠

يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ...﴾[٢٠] فالأعراب عِرق منهم البدوي الذي يسكن البادية، ومنهم الحضري الذي يسكن المدينة. وهم الذين بُعِث فيهم النبيّ محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله وبدأت الدعوة فيهم، لكنّها للناس أجمعين **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ...﴾**[٢١] وبيّن الله سبحانه ما كان منهم حينما بدأ النبي في إبلاغهم بالدعوة إلى الإسلام **﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا...﴾**[٢٢] **﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ...﴾**[٢٣] **﴿وَجَاء الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ...﴾**[٢٤] **﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا...﴾**[٢٥] **﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ...﴾**[٢٦] **﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللهِ...﴾**[٢٧] **﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ...﴾**[٢٨] **﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ...﴾**[٢٩] .

من الواضح في هذه الآيات إذن أنّ الأعراب هم الذين بُعِث فيهم محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله إلى الناس كافّة **﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ * لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾**[٣٠] والأعراب هم الذين آذوه حتى قال **"ما أوذي أحد مثلما أوذيت"**[٣١]. وحذّرهم الله سبحانه وتعالى بعظيم قوله **﴿...وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾**[٣٢].

لم يهتم المسلمون بما كان من الأذى لرسول الله صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله رغم أنّه ذكر لهم ذلك. فمن لم يهتم ولا يتأذّى بإذية حبيبه فليس صادقاً في ادعائه الحب. فهو صاحب دعوى كاذبة ولا إيمان لمن لا حبّ له **"لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من أهله وماله والناس أجمعين"**[٣٣]، وبدلاً من الاهتمام بما ذكره الحبيب عن إذيته، وتقصّي الحقائق وتبيين أوجه الأذى، وكشف الذين كان منهم الأذى، لجأوا إلى التغطية عليهم، بل قاموا برفع قدرهم فوق الآخرين كنوع من التمويه على أفعالهم، حتى إذا ذُكِر أحدهم تُذكر محاسنه، ولا يُلتفت إلى ما كان من أذاه بحقّ النبي العظيم.

---

[٢٠] سورة الأحزاب : ٢٠
[٢١] سورة سبأ : ٢٨
[٢٢] سورة الحجرات : ١٤
[٢٣] سورة التوبة : ١٠١
[٢٤] سورة التوبة : ٩٠
[٢٥] سورة التوبة : ٩٨
[٢٦] سورة التوبة : ٩٩
[٢٧] سورة التوبة : ١٢٠
[٢٨] سورة الفتح : ١١
[٢٩] سورة الفتح : ١٦
[٣٠] سورة يس : ٦-٧
[٣١] فتح الباري شرح صحيح البخاري
[٣٢] سورة الأحزاب : ٥٣
[٣٣] مسلم

فقد جعلوا من صرّح بأنّه ينتظر موت النبيّ لينكح أزواجه من بعده مُبشَّراً بالجنة. [٣٤]وجعلوا الذي تبرأ النبيّ من فِعله وقال فيه **"اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد"**[٣٥] سيف الله المسلول، وهو الذي قتل مالك بن نويرة المسلم، ونزا بأرملته قبل أن يجفّ دمه، وقام الخليفة عمر بن الخطاب باتهام خالد وتهديده بالرجم لفعلته حيث قال له": قتلت رجلاً مسلماً ونزوت على امرأته والله لأرجمنّك بأحجارك[٣٦].

كما جعلوا إحدى زوجات النبيّ التي تقول له في حضرته العليّة "أنت الذي تزعم أنك نبي"[٣٧] أحبّ زوجاته إليه، وجعلوا تلقي الدين مناصفة بينها وبينه في حياته، وقالوا **"خذوا نصف دينكم من هذه الحميراء"**[٣٨]. وسكتوا عن ذِكر الوليد بن عقبة الذي قال الله فيه إنّه فاسق **﴿...إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا...﴾**[٣٩] ، كما سكتوا عن تسمية الذين أرادوا اغتيال رسول الله صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله عند العقبة، وقال الله فيهم **﴿.يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾**[٤٠] وأخبر النبي بهم حذيفة (رض) لا بل جاءوا إلى النبيّ في اليوم التالي يحلفون له بالله كذباً بعد أن شعروا بامكانية انفضاح أمرهم".

كما سكتوا عن تسمية الذين كانوا يدخلون على بيوت النبيّ دون إذن، وفي قلوبهم طمع في نسائه أمّهات المؤمنين حتى حذّرهن الله منهم **﴿...فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ...﴾**[٤١] وسكتوا عن سوء سلوك الذين تركوا النبيّ قائماً يصلي في المسجد وخرجوا للهو **﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا...﴾**[٤٢]، وسكتوا عما كان يجده رسول الله من الأذى في تحيّتهم له. قال تعالى **﴿...وَإِذَا جَاؤُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ...﴾**[٤٣] لعدم احترامهم له وسوء أدبهم معه **﴿...وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾**[٤٤].

إنّ إذية النبي التي لم يهتم بها المسلمون أمر عظيم، وهي كما أسلفت إذية لله سبحانه الذي قال: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾**[٤٥] ومعلوم أنّ العبد لا يستطيع إذية الله الذي خلقه لذلك لا تُفسّر إذية الله إلا في رسول الله صلى الله وبارك عليه وعلى والديه

34

[٣٥] البخاري

[٣٦] الطبري

[٣٧] مسند أبي يعلي

[٣٨] نهاية ابن الأثير

[٣٩] سورة الحجرات : ٦

[٤٠] سورة التوبة : ٧٤. أنظر مسند أحمد.

[٤١] سورة الأحزاب : ٣٢

[٤٢] سورة الجمعة : ١١

[٤٣] سورة المجادلة : ٨

[٤٤] سورة المجادلة : ٨

[٤٥] سورة الأحزاب : ٥٧

وآله. فمن آذى رسول الله فقد آذى الله. فكيف عدل الأعراب عن هذا الأمر العظيم، ولم يكشِفوا الذين فعلوه، وتستّروا عليهم دون أن يرف لهم جفن؟.

وصف الله سبحانه عباده الصالحين بقوله تعالى **﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾**[٤٦]. وهناك في الموروث الديني ما صوّره بعض المنحرفين عن رسول الله صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله فيجب تصحيح هذا الأمر. فإذا كان الحقّ سبحانه وتعالى يقول لنبيّه الكريم **﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾**[٤٧] ويشهد له **﴿أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ﴾**[٤٨]. نجد في بعض مراجعنا ما يقول إنّ النبيّ صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله كان يطوف على نسائه في ليلة واحدة بغُسل واحد. فلا يستقيم هذا مع حال رسول الله أبداً. فالله يشهد له بالقيام وهؤلاء يقولون كان يقضي ليله بين نسائه بغُسلٍ واحد، والنبيّ صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله يقول **"بُني الدين على النظافة"**[٤٩].

إنّ مثل هذه الأحاديث المسيئة لنبيّنا العظيم والتي تناقض صريح القرآن الكريم، يجب أن تشطب من مصادر المسلمين حتى لا يكون هناك مبرر لمن يقول بذلك من المنحرفين مستنداً إليها، ويجب أن لا نلتفت لمثل هذا الكلام بل نُطالِب بأن تصحّح هذه المصادر التي بها مثل هذا الأحاديث المسيئة لعقائد المسلمين، والتي تطعن بأخلاق نبيّهم الممدوح من الله تعالى بخلقه العظيم، فإنّ مثل هذا الكلام لا يليق بأحد المسلمين المتّقين، فكيف يقال عن رسول الله صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله الذي يشهد له الله بقيام الليل.

يقولون كان يقضي الليل بين نسائه بغُسل واحد ثم ينام حتى يأتيه بلال ويجده نائماً فيستأذن، فيقال له إنّ النبي نائم، فيصرخ بأعلى صوته **"الصلاة خير من النوم"**[٥٠]. لا حول ولا قوة إلا بالله. يصوّرون النبيّ نائماً عن الصلاة وبلال يوقظه!، وهو الذي قال **"إنّ عيني تنامان ولا ينام قلبي"**[٥١].

يصوَرون بلالاً وهو يصرخ وقت الفجر "الصلاة خير من النوم" كأنّه يبدو معلماً للنبيّ العظيم أنّ الصلاة خير من النوم، أو كأنّه يبدو معاتباً أو مقرّعاً، فإذا كان النبيّ نائماً وجب على الناس النوم اتباعاً. والأولى ببلال أن يفعل ذلك، هذا لو افترضنا أنّ الحديث صحيح، فالنبيّ صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله هو صاحب الصلاة والمرجعية في الدين، والأسوة الحسنة للعالمين، وليس هناك في الكون من هو أحرص منه على الصلاة حتى يأتي أحد أتباعه لينبّهه إليها. لا والله لا يستقيم هذا الحديث أبداً في جناب

---

[٤٦] سورة الذاريات : ١٧
[٤٧] سورة المزمل : ٢
[٤٨] سورة المزمل : ٢٠
[٤٩] إحياء علوم الدين للغزالي
[٥٠] أحمد بن حنبل
[٥١] البخاري

المصطفى صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله. إن المطلوب اليوم تنزيه النبي صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله عن مثل هذه الأحاديث حتى ترتاح ضمائر المسلمين. نحن لا ندافع عن رسول الله فقد دافع عنه الحقّ سبحانه وتعالى، لكنّنا ندافع عن عقائد المسلمين حتى لا تصطدم بما يضرّ بآخرتهم ويضرّ بأعمالهم الصالحة وبإيمانهم. نحن نصحّح ما يضرّ بالمسلمين أما رسول الله صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله فإنّ ربه يقول له **﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾**[٥٢].

الله سبحانه وتعالى لا يقبل عند حبيبه حتى رفع الصوت. **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾**[٥٣]. إنّ مثل هذا الأمر قابل لأن يُحبِط الأعمال، فكيف بإذيته؟

إنّ الرسالة التي بعث الله بها نبيّه لم تأت لتسبّب له الشقاء **﴿طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾**[٥٤]. ولا يقبل الحقّ تعالى أن يلقى نبيّه وحبيبه الأذى بسبب ذلك، فقد تكفّل بنصرته وأن لا يشقيه بها.

نحن نفرح بالرحمة التي وسعت كلّ شيء. نفرح بالمصطفى وبمولده، وعلى الذين ينكرون علينا أن يبحثوا عن غير ذلك. والله لو كان احتفالنا بمولده من الكبائر فإنّ النبيّ (صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله) قال : **"شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي.** (رواه أبو داود والترمذي) وهو الرحمة من الله للعالمين : **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾**[55] وقال عن نفسه (صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله) : **"إنما أنا رحمة مهداة"**[٥٦]. قيل له "يا رسول الله أدعو على المشركين" ، قال "لم أبعث لعاناً، إنما بُعِثت رحمة"[٥٧]. فإذا كان النبيّ عنده من الرأفة والرحمة أنّه لا يدعو على المشركين، فكيف حال أحبابه يوم القيامة؟ هل يتركهم في النار؟ وهو القائل **"شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي"**.

من وجبت له النار وأدخله الله فيها فإنّ النبيّ صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله يخرجه منها بشفاعته. **﴿...إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا...﴾**[٥٨]. لكن الذنوب والإساءات التي يتم اقترافها بحقّ المصطفى صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله لا تُغفر، لأنّه حتى رفع الصوت في حضرة النبي يُحبِط الأعمال.كما أنّ الشفاعة جُعِلت لمن يرتكب بجهالة فعلاً أو شيئاً لا يعلمه فيخرجه النبيّ بالشفاعة من النار. أما الحقّ سبحانه فيدخل في النار من ارتكب في حق المصطفى شيئاً ولو كان لا يشعر "أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون". أي لو رفعت صوتك عند الحبيب وأنت غير قاصد فإنّ أعمالك تُحبط. فالحبيب صلى

---

٥٢ سورة الحجر : ٩٥
٥٣ سورة الحجرات : ٢
٥٤ سورة طه : ١-٢
55 سورة الأنبياء : ١٠٧
٥٦ مسلم
٥٧ مسلم
٥٨ سورة الزمر : ٥٣

الله وبارك عليه وعلى والديه وآله جعل شفاعته لمِثل هؤلاء. يتعثر الإنسان في شيء دون أن يعلم فتنقذه الشفاعة. أما سوء الأدب مع النبيّ فإنه لا يغفر لأنّه ليس ذنباً، لذلك عندما جاء الكفّار للنبيّ ليُسلِموا وكانوا ينادونه من وراء الحجرات "يا محمد أخرج لنا" وكانوا يريدون أن يدخلوا في الإسلام. فقال فيهم الله تعالى **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ...﴾**[٥٩] أي لو صبروا على شركهم وكفرهم لكان خيراً لهم من هذا الصراخ والإزعاج، لهذا فإنّ سوء الأدب في حقّ الحبيب - كما أسلفت - لا يغفر أبداً.

ثمن من تجده يتحدث أنّ أبوي الحبيب في النار. فماذا ترك من يقول ذلك من سوء الأدب والإذية لرسول الله؟ وأين تكون منزلته غير مع الذين يؤذون الرسول صلّى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله وهو القائل **"أنا خيار من خيار"**[٦٠]. هل الخيار في النار؟ ألم يقل الله سبحانه لرسوله الكريم **﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾**[٦١] ؟. فهل يرضى النبيّ أن يكون أبواه في النار وهو يشفع لكلّ العالمين؟ الذين يقبلون بمثل هذا الحديث هم أبغض الخلق إلى الله لأنّ الله لا يقبل في حبيبه مثقال ذرّة من أذى. لماذا؟ لأنّ محمّداً حقّ **﴿...وَشَهِدُواْ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ...﴾**[٦٢]. وماذا بعد الحقّ إلا الضلال. فلا يُتّهم النبي بفعل إذا نُسِب لأحدهم لا يقبله. يقولون "عبس". من الذي عبس؟ هل عبس النبيّ في وجه أعمى؟ الأعمى لا يُبصِر. كيف يعبس في وجهه؟ ماذا يستفيد الأعمى من هذا العبوس؟ وكيف يعبس، والعبوس صفة من صفات الكفار؟. قال تعالى في أحد الكفار **﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾**[٦٣]. فالعبوس والإدبار من صفات الكفار. يقولون إنّ الحبيب هو الذي "عبس وتولى". العبوس والتولي (الإدبار) صفة الكفار ولا يمكن أبداً أن تكون صفة للنبي. فالحبيب لم يعبس قط ولم يُر مقطباً جبينه قط. ولم يؤذ أحداً من أهل بيته ولا من أمّته ولا من الكافرين، حتى أنه كان إذا آذاه كافر عفا عنه. وكان يغضّ الطرف عن أذى اليهود وغيرهم. وما أسلم الناس عند المصطفى إلا لحُسن خُلقِه وصفحِه عن أذاهم ومواساته لهم في رزاياهم. هكذا كان الخُلق المحمّدي. وكان أيضاً لا يُكرِه أحداً على الدين ولا يُجبِر أحداً على أن يشهد أنّه رسول الله. فهو الرحمة كلها.

يروى أنه كان إذا صلى، وجاء أحد إبنيه الحسن والحسين وهو ساجد ليركب على رقبته الشريفة فإنّه لا يرفع رأسه حتى ينزل الطفل من على ظهره أي لم يكن يقسو عليه أو يجعله ينزل قسرياً. فكان يقول بعض المصلين له بعد الانتهاء من الصلاة "يا رسول الله أطلت علينا السجود"، فيردّ **"إنّ ابني ارتحلني"**[٦٤] أي جعلني مثل الراحلة. كانت أمامة بنت الربيع إذا بكت وهي بجانبه وهو يصلي حملها وإذا

---

[٥٩] سورة الحجرات
[٦٠] مسلم
[٦١] سورة الضحى : ٥
[٦٢] سورة آل عمران : ٨٦
[٦٣] سورة المدثر : ٢٢-٢٣
[٦٤] أحمد بن حنبل

سجد أنزلها، وسجد ثم إذا قام رفعها حتى لا تبكي. هذا هو الخُلق المحمدي. جاءه عُدي بن حاتم الطائي ذات يوم وهو في بيته (المسجد النبوي)، وكان على الدين المسيحي ويلبس الصليب، فماذا كانت ردّة فعل النبيّ العظيم؟ ليس إلا أجمل الترحيب، وبعدها خلع رداءه وفرشه لعُدي، وماذا كانت النتيجة لهذا التصرّف؟ لقد أحبّ عديّ النبي. وقبل الدخول في الإسلام. هكذا هو الخُلق المحمّدي الرفيع الجاذب للآخرين.

قال الحبيب **"إنما بُعِثت لأتمّم صالح الأخلاق"**[٦٥]. والله سبحانه يقول **﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾**[٦٦]. وهذه العبارة "لعلى خلق عظيم" لا تعني "فيك خلق عظيم" بل أنت تتربّع على عرش الأخلاق العظيمة. لذلك كان للرسل السابقين بعض التصرّفات التي تبدو غير مناسبة، ومن ذلك أنّ سيدنا موسى عليه السلام أمسك بلحية أخيه هارون ورأسه حتى قال له أخوه **﴿...يَا ابْنَ أُمَّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي...﴾**[٦٧] لأنّ الأمومة هي أحنّ شيء. أما سيدنا يوسف عليه السلام فإنه لما جاءه رسول فرعون قال له **﴿...ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ...﴾**[٦٨]. الحبيب قال **"لو كنت مكان يوسف لأجبت الداعي"**[٦٩]. وإذا نظرنا إلى حكاية سيدنا ابراهيم عليه السلام مع قوم حين قال لهم **﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ...﴾**[٧٠]. وقارناها بحال الحبيب مع قومه فإنّه لم يصدر منه ما يؤذي حتى الكفار، ولم يسبّ عقيدة أحد إنّما كان يحترم جميع الناس وجميع الأديان والرسل.

إنّنا حينما نحتفل بمولد أعظم خلق الله، ومحلّ نظره من خلقه الذي أعطاه الله الشفاعة فإنّما يكون ذلك تبرّكاً بمولده، وهو الذي يقوم يوم القيامة "أمّتي أمّتي" فيما يقول الرسل "نفسي نفسي" ، وبالطبع فإنّ الناس كافة همّ أمّته كما أسلفنا وليس العرب فقط ولا الأعراب خاصّة، قال رسول الله **"آدم ومن دونه تحت لوائي"**[٧١] فقد كان نبيّاً وآدم لم يكتمل خلقه بين الطين والماء.

كما نحتفل أيضاً بمولد عيسى عليه السلام ويقول بعضهم: كيف تحتفلون بعيد الكفّار؟ أليس عيسى نبياً مرسلاً من الله تعالى **﴿...إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ...﴾**[٧٢]. فماذا يقول بعض الناس الذين يحتفلون بمشايخهم؟ أليس عيسى نبيّ الله أفضل من هؤلاء المشايخ؟

---

٦٥ أحمد بن حنبل
٦٦ سورة القلم : ٤
٦٧ سورة طه : ٩٤
٦٨ سورة يوسف : ٥٠
٦٩ فتح الباري لابن حجر العسقلاني
٧٠ سورة الأنبياء : ٦٧
٧١ الترمذي
٧٢ سورة النساء : ١٧١

المسيحيون يحتفلون بمولد عيسى عليه السلام، ونحن نشاركهم الاحتفال أيضاً بمولد هذا النبي الكريم، فمن لم يؤمن بالأنبياء السابقين وكتبهم ويحترمهم فلا إيمان له. يرى بعض المنغلقين أنّك إذا لقيت أحد أتباع الرسل السابقين فإنّه يجب عليك أن تعبس في وجهه وتُضيّق عليه الطريق، وفي الحقيقة هذا هو الموجود في الموروث، وهو بالطبع ليس من الإسلام في شيء. فالواجب هو احترام أهل الكتاب ورسلهم وعقائدهم وما أرسل الله إليهم من الكتب. ولا تدع لأيّ إنسان إلا بالخير إن كنت متبعاً لمحمد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله "إنما هي أعمالكم تردّ عليكم". سيدنا علي عليه السلام قال **"الإنسان إما أخوك في الدين أو صنوك في الخلق"**. لا أفضلية لإنسان على آخر. لذلك يجب أن يقول الإنسان "اللهم اجعلني في عيني صغيراً وفي أعين الناس كبيراً" حتى لا يتكبّر على الآخرين. و **"لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبر"**[٧٣].

صدق الله العظيم الذي قال **﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا...﴾**[٧٤] أي ممن سبقهم من الأمم كقوم نوح، وأصحاب الرسّ، وثمود، وعاد، وفرعون، وإخوان لوط، وأصحاب الأيكة، وقوم تُبّع. وكان منهم من حذّرهم الله سبحانه عن معصية الرسول **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ...﴾**[٧٥]. فقد جاء عن طلحة بن عبيد الله أنّه قال "إذا مات رسول الله تزوجت عائشة"[٧٦] . هكذا كانت حُرمة رسول الله وزوجاته أمهات المؤمنين عند بعض أصحابه الأعراب فيما وصلنا من الموروث، ثم يقولون إنّ طلحة هذا من المبشّرين بالجنّة، فكيف كان إذن تعامل الذين لم يكونوا من المبشّرين بالجنّة مع رسول الله؟! يصرّح هذا "الصحابي" في حياة النبي بأنّه يريد أن ينكح زوجته من بعده، فهل هذا لأنّها أعجبته وافتتن بها لأنّه كان يدخل بيت النبي دون إذن؟ أم القصد هو تسبيب الأذى للنبي؟

وردنا أيضاً من هذا الموروث أنّ عائشة قالت لرسول الله "أنت الذي تزعم أنك نبي"[٧٧]. وهي زوجته، وابنة أبي بكر. فوالله ما أُوذي أحد مثلما أُوذي رسول الله، ولم يهتم الناس بإذيته، وعدلوا عنها إلى مدح الصحابة ليواروا سوءة من يريد أن ينكح زوجة النبيّ، ويجعلونه من المبشرين بالجنة. ومنهم من كان يدخل بيوت النبي وفي قلبه طمع في زوجاته حتى حذّر الله نساء النبي منهم **﴿يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ...﴾**[٧٨]. وقد كانوا يدخلون على بيوت النبي دون إذن منه حتى منعهم الحق سبحانه **﴿...لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى**

---

[٧٣] مسلم
[٧٤] سورة التوبة : ٩٧
[٧٥] سورة المجادلة : ٩
[٧٦] القرطبي
[٧٧] إحياء علوم الدين لأبو حامد الغزالي
[٧٨] سورة الأحزاب : ٣٢

طَعَامٍ...﴾[٧٩] **﴿...فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ...﴾**[٨٠] هكذا كان سلوك الأعراب مع رسول الله إذ لم يكونوا يولون أمر النبي الاهتمام اللائق بمقامه الشريف حتّى بيّن لهم الحقّ سبحانه سوء سلوكهم **﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللهِ...﴾**[٨١].

ولم ترد كلمة العرب في القرآن على من بدأت فيهم بعثة محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله، فالعِرق الذي بُعِث فيه هم الأعراب وليس العرب، لأنّ العرب هم كلّ من يتحدّث باللسان العربي، أياً كان جنسه كما ذكرنا، فالعربية لسان، لهذا أرى بأنّ النبيّ محمداً صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله كان عربياً وليس أعرابياً، وهو الذي كان نبيّاً يصلي عليه الله وآدم بين الروح والجسد[٨٢] وقال **"لست كأحدكم"**[٨٣] لأنّه من نور وجه الله[٨٤]، وهو الرحمة التي كتبها الله على نفسه **﴿...كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ...﴾**[٨٥]، وإن كان في الظاهر قرشياً، أضف إلى ذلك أنّ الله سبحانه وصف الأعراب بشدّة الكفر والنفاق، وفيهم الذين آذوا رسول الله، فلا يستقيم أن يُنسب إليهم خير خلق الله الذي قال إنّه خيار من خيار[٨٦]. والأعراب عِرق وهم الذين قال الله فيهم **﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُواْ...﴾**[٨٧] وفيهم الذين كانت منهم الإذية لخير خلق الله حتى قال **"ما أوذي أحد ما أوذيت"**[٨٨] ، وبعد انتقاله لم يصلّوا عليه كما وصلنا من أخبارهم بل لم يذكروا لنا أنّ أبا بكر وعمر وعثمان صلّوا عليه**!!**

كانت هجرته من مكة رحمة بأهلها لعظمة أخلاقه حتى لا يتسبب أذاهم له في ما يُنزله الله عليهم من عذاب. فالله سبحانه يُهلِك كّل من يؤذي رسوله ولو كانت مكةّ ومن فيها لأنّ إذيته إذيته قال تعالى **﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَّرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾**[٨٩]. فكانت هجرته شفقة عليهم لأنّه الرحمة المهداة وليس هروباً منهم كما يظن الجاهلون، فلا يُنسب الخوف إلى رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله أبداً. قال تعالى **﴿...إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾**[٩٠] وقال عليّ عليه السلام:

---

[٧٩] سورة الأحزاب : ٥٣
[٨٠] سورة الأحزاب : ٥٣
[٨١] سورة التوبة : ١٢٠
[٨٢] الحاكم
[٨٣] البخاري
[٨٤] كشف الخفاء ج١ : ٣١١-٣١٢
[٨٥] سورة الأنعام : ٥٤
[٨٦] الحاكم
[٨٧] سورة التوبة : ٩٧
[٨٨] أبو نعيم
[٨٩] سورة محمد : ١٣
[٩٠] سورة النمل : ١٠

كنّا إذا اشتد الوطيس نستتر برسول الله. وأفعال النبيّ صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله كلّها لا تكون إلا بوحي ﴿**...إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ...**﴾[٩١].

[٩١] سورة الأنعام : ٥٠

إساءات المفسّرين وأهواء المتأوّلين

إنّ الذي ورد عن الأعراب وعن بني إسرائيل في الموروث، إنّما كان من عدم التدبّر، الذي أمر الله به في القرآن، وأسوق مثالاً لذلك، وهو ما ذكره بعض المفسرين في إنحرافهم عن القصد القرآني وقدسيته، وعصمة من أُنزِل عليه، وهو محمّد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله، الذي قال الله فيه، **﴿...وَشَهِدُواْ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ...﴾**[٩٢]، فقد جاء فيما ذكره الطبري في كتابه "تأويل القرآن": **"رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوبكر رضي الله عنه كانا اللذين خرجا هاربين من قريش إذ همّوا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم واختفيا في الغار"**[٩٣]. والذي يجب الوقوف عنده قوله تعالى **﴿...وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ...﴾**[٩٤] وقوله تعالى **﴿...يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ...﴾**[٩٥] فكيف جاز للطبري إدعاء الألوهية وتأويل القرآن الذي لا يعلم تأويله إلا الله؟ وجاء في تفسير ابن كثير **"... لمّا هم المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه فخرج منهم هارباً"**[٩٦]. والقرآن لا يحتاج إلى تفسير كما قال تعالى **﴿...جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾**[٩٧]. فهل ابن كثير لا يؤمن بأنّ القرآن أحسن تفسيراً للحقّ كما قال الله تعالى؟ هذا هو الموروث بمصائبه، الذي قلّ أن يسلم من ينتقده، كأنّ أصحابه معصومون. ويراه بعض الناس مرجعية يجب الالتزام بها، أولئك الذين يرتدون زيّاً مميّزاً ليُقال عنهم إنّهم "رجال الدين" إذ يوارون بهذا اللباس عوراتهم المعرفية، بدلاً عن لباس التقوى الذي هو خير وأبقى. وكثير منهم أئمة للمساجد ويأخذون أجراً على ذلك. إذ صارت الصلاة عملاً يؤخذ عليه الأجر، فلا غرابة لما جرى من أولئك الذين طالبوا بأجر إضافي لصلاتي المغرب والعشاء والتراويح لأنّها زيادة على ساعات العمل اليومي، ومطالبة بعضهم بعطلة يوم في الأسبوع لقضاء مهامهم وواجباتهم المنزلية، فلا يذهبون خلاله إلى المسجد..!.

ترى هل يُعتبر من المسلمين من يعتقِد أو يقول إنّ رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله هرب خوفاً من القتل؟ وهل يشكّ الرسول أصلاً في قدرة الله على حِفظه لأداء رسالته فيهرب ممن أُرسِل إليهم؟ ألم يقرأ أصحاب التفاسير والتأويل قول الله سبحانه **﴿...إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾**[٩٨]؟، ولو قال بعضهم: ألم يهرب موسى خوفاً حينما رأى العصا تهتزّ كأنّها جانّ، وصارت حية تسعى؟

---

[٩٢] سورة آل عمران : ٨٦
[٩٣] تفسير الطبري، ج ١٤، ص ٢٥٧
[٩٤] سورة آل عمران : ٧
[٩٥] سورة الأعراف : ٥٣
[٩٦] تفسير ابن كثير، ص ١٩٣
[٩٧] سورة الفرقان : ٣٣
[٩٨] سورة النمل : ١٠

إنّ الردّ على ذلك هو ما قاله الله سبحانه **﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ...﴾**[٩٩] والذي ظلم ثم بدّل حُسناً بعد سوء هو موسى عليه السلام، فقد وكز النوبي فقضى عليه، ثمّ استغفر فغفر الله له، وهذا هو الاستثناء في هذه الآية. وحتى لمن لا يؤمن بما أنزل الله في عدم خوف الرسل، ألا يكفيه ما فعله النبيّ صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله بالمتربّصين به، حيث حثا التراب على رؤسهم جميعاً؟ فهل يفعل ذلك من يخافهم؟

لقد أساء أصحاب التفاسير إلى أنفسهم بما نسبوه إلى الذات المحمّدية الشريفة، وبثّوا سموم أفكارهم في الأمّة، واتبعوا أهواءهم، فضلّوا وأضلّوا وأجحفوا في حقّ من يصلي عليه الله، ويصلّي عليه جبريل، وتصلّي عليه الملائكة، وأمر الله الذين آمنوا بالصلاة عليه، غير أنّ الخليفة الأول لم يصلّ عليه كما وصلنا من الموروث، وذكر إسمه مجرداً دون الرسالة حين قال أمام الناس **"من كان يعبد محمّداً فإنّ محمّداً قد مات"**، بينما الله سبحانه في عليائه لم يذكر إسمه مجرداً. لهذا فقد الناس المرجعية في دينهم، واتّبعوا ما تمليه عليهم أهواءهم **﴿...وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ...﴾**[١٠٠]، وهذا الأمر يبدو حكماً منهم بما يرونه بعقولهم القاصرة على أفعال الذات الشريفة، التي لا تكون إلا بوحي، وجاء فيها فيما أنزله الله سبحانه **﴿...وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ...﴾**[١٠١] إذ يرى بعض الجهلاء في هذه الآية نقصاً في العقل المحمّدي لاحتياجه إلى التوجيه من الله في تعامله، بدلاً من أن يرى العصمة له من الله في أفعاله كلّها. فقالوا لسوء أدبهم، وقلّة احترامهم وجهلهم إنّ النبي خرج من مكة هارباً، بينما هو الذي خرج شفقة على قومه، حتى لا ينزل عليهم العذاب من إذيتهم له، فالله حافظه من مكرهم قال تعالى **﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾**[١٠٢] **﴿...قُلِ اللّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا...﴾**[١٠٣].

وقال تعالى **﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ...﴾**[١٠٤] فقبول الناس لكلّ ما جاء في الموروث، ورفضهم لمن يقول بغير ما جاء فيه، واعتبار عدم قبول جزء من هذا الموروث خروجاً عن الفهم السليم للدين، إضافة إلى احتقار كلّ من ينتقد أصحاب المذاهب والمفسرين، إنّما هو حكم على الله بنضوب رحمته وانقطاع فيضه، والعياذ بالله.

لقد أبعدهم تقديس ذلك الموروث عن حقيقة الدين، لأنّ في هذا الموروث الكثير الذي يُوجد فيه الإنتقاص من الأخلاق المحمّدية، التي مدحها الله سبحانه بالعظمة، فنجد فيما قيل فيه عن رسول الله إنّ

---

[٩٩] سورة النمل : ١١
[١٠٠] سورة القصص : ٥٠
[١٠١] سورة الأنعام : ٥٠
[١٠٢] سورة الأنفال : ٣٠
[١٠٣] سورة يونس : ٢١
[١٠٤] سورة الأنعام : ١١٦

الشيطان ينطق على لسانه، وإنّه سُحِر حتى لم يكن يدري ما يفعل. ولا يستحي الذين يقبلون كلّ ما في الموروث من أن يقولوا إنّ رسول الله كان معه - وحاشاه أن يكون معه - شيطان قرين لكن الله أعانه عليه فأسلم[١٠٥]**!!**، ولو سألنا على يد من أسلم هذا الشيطان لما وجدوا إجابة على ذلك. ثم يُفضّلون الخليفة عمر عليه، ويقولون إنّه ما سلك فجّاً إلا سلك الشيطان فجّاً غير فجّه[١٠٦]، فأصبحت مرجعية الأمّة هي أقوال المفسرين، وفتاوى أصحاب المذاهب، حتى لو قالوا بالإنتقاص من القدر الشريف، ورفعوا بعض أصحابه فوق مقامه، حيث قالوا إنّ الله وافق عمر في ثلاثة مواقع في نزول القرآن؛ وذلك في مقام إبراهيم، والحجاب، والاستئذان. فكأنّهم بذلك يقولون (لا إله إلا الله ومحمد وبعض أصحابه رسول الله) ويصلّون عليهم معه أجمعين حتى تابعي تابعيهم إلى يوم الدين، وهو المبعوث لهدايتهم .

"قال عمر: وافقت الله في ثلاث أو وافقني ربّي في ثلاث. قلت يا رسول الله لو اتخذت مقام إبراهيم مصلّى/ وقلت يا رسول الله يدخل عليك البرّ والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب، قال وبلغني معاتبة النبي صلى الله عليه وسلم بعض نسائه فدخلت عليهن قلت إن انتهيتن أو ليبدلن الله رسوله صلى الله عليه وسلم خيراً منكن حتى أتيت إحدى نسائه قالت يا عمر أما في رسول الله ما يعِظ نساءه حتى تعظهن أنت فأنزل الله: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات... الآية"[١٠٧]. وقالوا إنّ أحد أصحابه سبقه إلى الجنة[١٠٨]**!!** وسأله النبي عن سبب سبقه إيّاه إلى الجنة، فقال له: كنت كلما توضأت صليت ركعتين. فهل يعني ذلك أنّه كان أكثر عبادة لله من رسول الله؟

ورجّحوا قول عمر بن الخطاب الذي خالف أمر رسول الله، وقال له حسبنا كتاب الله، وعارض إحضار الكتف والدواة التي أمر بإحضارها رسول الله، ووصف النبي بأنّه رجل يهجر، وذلك حينما أراد أن يكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده[١٠٩]، وقالوا لعلّ الخير فيما ذهب إليه عمر**!**، وحين أراد أبو بكر أن يوصي عند موته كان عمر يقول للناس "أيها الناس اسمعوا لخليفة رسول الله" لأنّه كان يوصي بالخلافة لعمر، وكان أحياناً يُغشى عليه وهو يُملي في وصيته على عثمان بن عفان، بينما اليوم يرفضون كلّ من يقول قولة عمر "حسبنا كتاب الله" دون البخاري ومسلم. فمرّة يرفضون غير القرآن، ولو كان ما يقوله رسول الله مقتدين بعمر في قولته حسبنا كتاب الله، ومرّة يرفضون من يقتصر على القرآن دون البخاري ومسلم، ولا يعني ذلك إلا أنّهم يرفعون قدر الصحابة مع قدر النبي، ويصلون عليهم معه، بل واعتقدوا الخير والأفضلية في قول ذلك الصحابي الذي خالفه، رغم قول الله سبحانه ﴿**مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ**

---

١٠٥ مسلم
١٠٦ البخاري ومسلم
١٠٧ البخاري
١٠٨ الحاكم
١٠٩ مسلم

اللهَ...﴾[110] وعدم طاعة رسول الله تبطل الأعمال قطعاً. فهاهم لا يبقون على طاعة رسول الله وحده لاعتقادهم أنّ محمداً وبعض أصحابه رسول الله، بل يفضلون رأي بعض أصحابه وطاعتهم على طاعته!!! ولو كان حقّاً حسبهم كتاب، الله فكتاب الله يقول لهم **﴿...وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ...﴾**[111] فلا يوجد في حقيقة الأمر إلا الاقتداء بالصحابة دون النبي، وقبول المعارضة للنبي التي نسبوها لعمر، والتي قال عنها من يُدعون بعلماء المسلمين إنّها خير وقوة في الحقّ، فلا حول ولا قوة إلا بالله مما يقولون ويفترون!.

لذلك فهم يؤيّديون بقولهم هذا معصية الرسول، فهم يفضلون رأي وطاعة من نسبوا إليه معارضة النبي رغم قول الله سبحانه **﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾**[112] وقال تعالى **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾**[113] بل قالوا إنّ الرسول صلى على منافق بعد أن نهاه الله عن ذلك، وذلك في تفسيرهم لقوله تعالى **﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا...﴾**[114] كأنّهم يعلمون المنافقين أكثر من معرفة رسول الله بهم، فأيدوا نزاع عمر للنبي في ذلك حين قال له: أتصلّي عليه وقد نهاك الله[115]!! بينما عمر نفسه كان لا يعلم إن كان محسوباً على المنافقين أم لا..!، وكان يسأل حذيفة عن ذلك، فكيف يعلم إذن من المنافق من غيره، بل يظهر أكثر معرفة من رسول الله بهم؟، كأنّ الرسول عندهم نسي كتاب الله الذي أُنزِل إليه ليذكِّره به عمر ويعظه، أو أنّه في معتقدهم تعمّد عدم الأخذ بما جاء في القرآن، مخالفاً بذلك لربّه ليبدو عمر أكثر حرصاً منه على ما في كتاب الله والالتزام به..!

أما كان يُغنيهم أن يقولوا إنّ الذي يُصلي عليه رسول الله ليس منافقاً لأنّ الله أمره أن لا يصلي على منافق؟ فالإصرار اليوم على ما وصلنا مثلاً من الموروث عن نفاق إبن سلول هو إصرار على خطأ النبي في رسالته وصحّة ما عليه عمر، فلم لم يظهروا للناس من كل المنافقين إلا ابن سلول؟ أليس المقصود بذلك التدليل على قولهم بخطأ النبيّ، وصحّة عمر رغم عدم ثبوت نفاقه. هذا هو دينهم ومعتقدهم الفاسد. فما أحوج الناس إلى من يقوّم هذا المعتقد الفاسد، ويُخرِج الذين آمنوا من الظلمات إلى النور.

ليتهم اكتفوا بتأييدهم لعمر في معارضته للنبي التي تبطل الأعمال، فقد ذكروا أنه جرّ النبي من ثوبه حتى أثّر ذلك على عاتقه[116] فهل ترك ذلك الفعل من الأذى شيئاً؟ ولم يُنكِروا ذلك بل رأوا فيه قوّة في الحقّ أكثر من رسول الله. وأقول لمن لا يُنكر ذلك من هو الأفضل عنده بل من هو الرسول عنده فلو صحّت الرواية يكون عمر ممن قال الله فيهم **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**

---

[110] سورة النساء : ٨٠
[111] سورة الحشر : ٧
[112] سورة النور : ٥٦
[113] سورة محمد : ٣٣
[114] سورة التوبة : ٨٤
[115] البخاري
[116] البخاري

وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾؟، فكيف يقبلون مثل هذه الروايات ويحاولون تفنيدها، رغم ما فيها من الإساءات للنبيّ العظيم ولعمر نفسه؟!

ترى لو أنّ ذلك الفعل حصل لمِلِك أو لرئيس دولة وقام أحد عساكره أو أتباعه بجرّه بمثل تلك الطريقة فهل يمرّ هذا الفعل دون إنكار يا أهل الفتوى في الإسلام؟ كيف يقبل ذلك من يؤمن بأنّ محمّداً رسول الله يصلي عليه الله، ولا يرضى أن تسقط عليه ذبابة، ويحبط عمل كلّ من يرفع صوته عليه، بل جعل للذين يغضّون أصواتهم عنده أجراً عظيماً، ثم انظر إلى التدخّل الإلهي حتى في بيت الزوجية للنبيّ (صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله) ، وهول الإنذار الإلهي لزوجاته بالله وجبريل والملائكة وصالح المؤمنين حين أرادتا التظاهر عليه، إذ أخرجهما من ربوبيته فقال **﴿عَسَى رَبُّهُ...﴾**[١١٧]، وهما من أمهات المؤمنين كما وصلنا في الموروث، عائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر.

إنّ من أكبر الكبائر الطعن في عظمة أخلاقه صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله من بعض فقهاء المسلمين بينما يمدحه الله سبحانه بعظمة هذه الأخلاق، فقال أكثرهم إنّه عبس في وجه أعمى لا يُبصِر، وأفتوا باستتابة من ينفي العبوس عنه، ومن يُنكِر أنّ النبيّ صلى على منافق ليثبتوا فُحش عقيدتهم بقولهم إنّ النبي خالف أمر ربّه الذي نهاه عن الصلاة على المنافقين، وأنّ عمر نصحه بأن لا يصلي عليه، فتكون الثقة في عدل عمر ووقوفه مع الحقّ عند المسلمين أقوى من الثقة في النبيّ ورسالته، لهذا لم تُصبح المرجعية عندهم رسول الله، بل أصحاب المذاهب والتفاسير، وأهل الفتوى من هيئة العلماء الذين يرون صحّة ما عليه الصحابة أفضل مما عليه رسول الله، بل إنهم يصحّحون رسول الله في أداء رسالته. حسبنا الله فيما يهرفون، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هذا ما جاء في بعض التفاسير وكتب الأحاديث التي وصلتنا في حقّ من ثبت أنّه حق بشهادة الله سبحانه، فكيف لا يكون توخي الحذر الشديد في الأمور الأخرى التي ينسبونها إليه بتفسيرهم للقرآن العظيم، وأكثرهم يفتقدون لباس التقوى، الذي يستمطر العِلم الحق **﴿...وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ...﴾**[١١٨]، ثم يخرجون إلى الناس بالمظهر والزي المتخذ لرجال الدين ليواروا به عوراتهم المعرفية لتفاسيرهم وفتاواهم الفاقدة للتدبر والترتيل، المشبعة بسوء الظن في رسول الله. فلقد أصبح الدين الذي يُكرِهون الناس عليه موكولاً إلى فئة مأجورة من قِبل الحاكم يُعينها بوظائف في الدولة ليرزقهم برواتب شهرية ويسميها هيئة العلماء، فتكفِّر من تشاء وتهدر دم من تشاء. فالعِلم بالدين حصره الحاكِم عليهم وبفتاواهم، وهو الذي يسيطر عليهم إذ يعيّنهم في هيئة العلماء كعلماء وقد يفصلهم منها أيضاً، إلا إذا أمدوه بالفتوى التي يطلبها منهم على ما يريده هو، ولو كان ذلك شرعية قتله لثلث الرعية..!.

---

[١١٧] سورة التحريم : ٥

[١١٨] سورة البقرة : ٢٨٢

تدبُّر القرآن

إنّ قراءة النبيّ صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله هي قراءة الحقّ سبحانه أُجريت على لسانه، كما كانت رميته رمية الله ﴿**...وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللهَ رَمَى...**﴾[١١٩] فأثبت الله الرمي لنفسه ونفاه عن النبي، كما أنّ بيعته هي بيعة الله ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ...**﴾[١٢٠] **فالشجرة التي صدر منها التكليم الإلهي لموسى عليه السلام ﴿...نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾**[١٢١] **. هذه الشجرة التي صدر منها نداء الله ليست بأفضل من محمّد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله الذي صدر منه كلام الله ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ...﴾ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾**[١٢٢]. وتولى سبحانه جمعه ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**﴾[١٢٣] وهو الترتيل، أي الجمع بنظام. قال تعالى ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا**﴾[١٢٤] فليس معنى رتلناه ترتيلاً أي تلوناه تلاوةً، لأنّ الرتل هو العدد من الشيء المرتّب والمنظم؛ قال تعالى ﴿**...وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**﴾[١٢٥] وهو التنظيم لآيات القرآن. فالقرآن أوّل ما نزل منه من آيات هي سورة إقرأ، وهي ليست أوّل سورة في المصحف الشريف حسب الرسم العثماني الحالي، وهي لا تدُل على عدم معرفة النبيّ بالقراءة كما ذكروا في رفضه لجبريل، حينما قال له: إقرأ، لأنّ جبريل لم يُقدِّم له مكتوباً أو قرطاساً، بل طلب منه القراءة مما عنده من القرآن قبل الوحي، ورفضَ النبيُّ ذلك لأنّه أُمِر بأن لا يبدأ بالقرآن قبل الوحي، فالقرآن الذي عند محمد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله قبل الوحي لا طاقة للناس به، لأنّه أُوتي له من الحقّ، من فوق سدرة المنتهى، التي هي نهاية مقام الوحي والأرواح، وهو الذي أنزله الله إليه كله في ليلة القدر. وأما بعد نزول الوحي على قلبه يصبح القرآن فرقاناً تتحمّله القلوب، فيقرأه الرسول للناس على مكث ﴿**وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ...**﴾[١٢٦]، وطاقة الوحي وبني آدم لا تتخطّى سدرة المنتهى في معارفها وإدراكها. لذلك طُلِب منه صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله أن لا ينطق بالقرآن قبل مجيء الوحي إليه. ﴿**...وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ...**﴾. كذلك آية ﴿**...الْيَوْمَ**

---

[١١٩] سورة الأنفال : ١٧
[١٢٠] سورة الفتح : ١٠
[١٢١] سورة القصص : ٣٠
[١٢٢] سورة القيامة : ١٨
[١٢٣] سورة القيامة : ١٧
[١٢٤] سورة الفرقان : ٣٢
[١٢٥] سورة المزمل : ٤
[١٢٦] سورة الإسراء : ١٠٦

أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا...﴾[١٢٧] نزلت بمكة في حجّة الوداع وهي في سورة المائدة، وهي سورة مدنية. فينبغي مراعاة الترتيل لمن أراد أن يتدبّر. وما كان الوحي يتلو على رسول الله تلاوة بل يُلقى على قلبه **﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾**[١٢٨] فيقرأه الرسول **﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾**[١٢٩] **﴿...قَوْلًا مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾**[١٣٠]. وجمع سبحانه فيه كلّ شيء **﴿...مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ...﴾**[١٣١] حتى ما كان من التذكير في مكان التأنيث الموجود في بعض اللهجات كقوله تعالى **﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ...﴾**[١٣٢]، وتوجد هذه اللهجة في البلاد التي كانت محل بعثة موسى عليه السلام الذي قال **﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾**[١٣٣]، وكقوله تعالى **﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا...﴾**[١٣٤] ولم يقل ومن تقنت. فلا شيء يخرج عمّا في هذا الكتاب، إلا العِلم بالله سبحانه لأنّ الله عزّ وجل تعالى عن الشيئية، والكتاب صادر منه فلا يحويه، وهذا العِلم هو الذي قيل له فيه **﴿...وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾**[١٣٥].

أما المسألة الأخرى فإنّ هذا الكتاب لا يحتاج إلى تفسير لقوله تعالى: **﴿...جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾**[١٣٦] فإذا كان الحقّ سبحانه جاء بأحسن تفسير، فإنّ كل من ادّعى تفسير القرآن فهو يكون قد دخل في نقيض الآية أي "أسوأ تفسيراً"، وقد امتلأت كتب التفاسير من أباطيل الروايات الأعرابية واليهودية بما لا يليق نِسبته إلى الذات المحمّدية الشريفة، التي صلى عليها الله وملائكته وبعض الرسل كما أوردنا من قبل، إضافة إلى ما ذكرنا منها في كتابنا **"اتهام المفسرين لأفضل المرسلين"**[١٣٧] ، ومن المعلوم أن صلاة الله تدلّ على قِدم النبي لأنّها ليست حادثة. ففعل الله سبحانه لا يحكمه الزمن، وإن جاء بالفعل المضارع فيوصف بالقِدم لنسبته إلى من لا يوصف بالحدوث تعالى وتقدّس. كما أنّ نسيانه سبحانه لا يكون من تذكُّر لأنّه جلّ جلاله تعالى عن العقل كقوله **﴿...الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ...﴾**[١٣٨] وقوله **﴿...نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ...﴾**[١٣٩].

---

[١٢٧] سورة المائدة : ٣
[١٢٨] سورة الشعراء : ١٩٣-١٩٤ هاتين الآيتين آية واحدة ولا يصح فصلهما لأن الثانية لا معنى لها ما لم تستند إلى ما قبلها.
[١٢٩] سورة الشعراء : ١٩٥
[١٣٠] سورة يس : ٥٨
[١٣١] سورة لأنعام : ٣٨
[١٣٢] سورة النحل : ٦٦
[١٣٣] سورة طه : ٢٧-٢٨
[١٣٤] سورة الأحزاب : ٣١
[١٣٥] سورة طه : ١١٤
[١٣٦] سورة الفرقان : ٣٣
[١٣٧] كتاب "اتهام المفسرين لأفضل المرسلين" الصادر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر عام ٢٠١٦
[١٣٨] سورة الجاثية : ٣٤
[١٣٩] سورة التوبة : ٦٧

بالتدبّر يظهر ما في هذا الكتاب من مخزون العِلم ومكنونه ويكون الترتيل، لذلك حثّ الله سبحانه على التدبر وأمر به، قال تعالى: **﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ...﴾**[١٤٠]، فالذي يقرأ القرآن دون تدبُّر لا يستطيع الترتيل، فلا يحسب نفسه مع من أطاع الله، لأنّ الله سبحانه أمر بالتدبُّر لآيات هذا الكتاب العظيم لا بحفظ حروفه ورسمه، ولا يظن أحد أنّ حفظه لحروف القرآن ورسمِه تجعله من الذاكرين الله كثيراً أو أعظم الناس قدراً، فعدم التدبُّر يدل على قلب مقفل قال تعالى **﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾**[١٤١] وإذا كان القلب مقفلاً فهو أبعد ما يكون عن العِلم وتلقي الرحمة والحب. وبغير الترتيل والتدبّر يستحيل معرفة كنوز العِلم التي في هذا القرآن، وذلك لأنّه صدر ممن تعالى عن العقل والتفكير، فقد تجد آية **﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ﴾**[١٤٢] وسط آيات الطلاق والنكاح ووصية المتوفين لأزواجهم. وكذلك تجد وصف الحديد وفائدته في آية تبيين سبب إرسال الرسل قال تعالى **﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾**[١٤٣]. ومن يتدبّر يجد أنّ هناك علاقة بين الحديد ومنافعه وأحد رسل الله سبحانه وهو داود عليه السلام، حيث قال تعالى **﴿...وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾**[١٤٤] وهذا قد يكون أحد أسباب وجودها في هذه الآية والله أعلم.

[١٤٠] سورة ص : ٢٩
[١٤١] سورة محمد : ٢٤
[١٤٢] سورة البقرة : ٢٣٨
[١٤٣] سورة الحديد : ٢٥
[١٤٤] سورة سبأ : ١٠

القلوب التي تعقل

قال تعالى ﴿**...فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا...**﴾[١٤٥] لهذا فإنّ القلوب هي التي تعقل، وإذا كان القلب مقفلاً فهو أعمى ولا يعقل. قال تعالى ﴿**...فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾[١٤٦] فالقلب الذي في الصدر هو الذي عليه المدار، كما قال الله سبحانه، ولا يوجد عضو غيره يعقل. فلا يذهب بمؤمن ما يمارس اليوم من إرهاب فكري بدعوى العِلم الحديث بأنّ القلب الذي في الصدر وظيفته فقط ضخّ الدم ولا علاقة له بالعقل، فيكذِّب الله سبحانه. وقد يمتطي بعض الناس صهوة دعوى العِلم بما لديهم من شهادات تحفزهم إلى ذلك، ويذهبون إلى تأويل معنى القلب ليبعدوه عن "القلب" أي العضو الذي في الصدر، ثم ينسبون إليه ما يعقلون ليواطئوا ما قاله الذين منحوهم الشهادات. فهناك محاولات متواصلة بدعوى العِلم لإبعاد الناس عن الحقّ الذي جاء في القرآن. وقد أظهرت السنوات الأخيرة الكثير من التضليل والكذب باسم العلم والتطوّر والطب، ومن ذلك ادعاء الصعود إلى القمر، وكروية الأرض ودورانها، وثبات الشمس، وفي تحذيرهم الشديد والخاطئ من خطورة الدهون الحيوانية على صحّة الإنسان. فالحذر الحذر من كثير مما يُقال باسم العِلم المادي والإرهاب الفكري. فالقلب حقيقة هو الذي يعقل، وهو المركز للإنسان في كلّ تصرفاته؛ ونؤمن بهذا كما قال الله سبحانه العليم بذات الصدور، وهو الذي بسلامته ينجو الإنسان في اليوم الآخر قال تعالى ﴿**إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾[١٤٧] وليس المقصود هنا سلامة القلب من الأمراض العضوية كالتضخّم والقصور، بل مما يحمله القلب من عِلم لا ينفع وظنون فاسدة وعقيدة كفر، وإلا لكان من مات بمرض القلب فمصيره إلى جهنم لمن له الفهم القاصر. فالقلب السليم هو الذي انفتح قفله، وبرئ من الحسد، والتعالي، وسوء الظن، وكان ديدنه حُسن الخلق، وصار أهلاً للتدبُّر ومعرفة عظمة الخالق سبحانه المدبّر بعلم/ تعالى فيه عن العقل والتفكير، فقد جاء عمن بُعِث ليتمّم صالح الأخلاق **"والذي نفسي بيده لا يدخلن الجنة أحدٌ إلا بحُسن الخُلق"**[١٤٨].

جاء أصحاب العِلم المادي بإرهاب فكري يجعل الناس تبعاً لهم فيما يقولون؛ وذلك بما يبدون من أعمال يظهر فيها التطوّر العِلمي المادي بالإعجاز البشري، كالمركبات الفضائية والتقنيّات الحديثة، فيميل

---

[١٤٥] سورة الحج : ٤٦
[١٤٦] سورة الحج : ٤٦
[١٤٧] سورة الشعراء : ٨٩
[١٤٨] مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر

الإنسان إلى تصديقهم في كلّ ما يقولون. وربّما يصدّقهم الإنسان بثبات الشمس ودوران الأرض حولها، مخالفاً بذلك العِلم الذي جاء به الله في محكم تنزيله بأنّ الشمس تجري والأرض قرار. وقد جاءوا بأكبر كذبة بلقاء حيث قالوا إنّ هناك عضواً في الإنسان يسمى العقل، قد يقولون لم نقُل بوجود عضو، حسناً فما هو إذاً؟ فإذا لم يكن عضواً محسوساً فهو إسم لعضو غير محسوس أرادوا أن يجعلوه محلّ القلب الذي يعقل. ويقولون إنّ الفِعل يعقل جاء من مسمّى العقل، لكن العقل موجود عدمي لا يقوم بذاته. فهناك أفعال ناتجة عن مسمّيات ولكن لا تقوم تلك المسمّيات بذاتها، ولا تفعل إلا أن يقوم بها غيرها من المحسوسات كالجلوس مثلاً، فالفعل يجلس ناتج عن مسمى وهو الجلوس، ولكن الجلوس لا يتم إلا إذا قام به إنسان، فالجلوس ليس له أثر من ذاته، وكلّ المسميات المعنوية هي موجودات عدمية لا أثر لها إذا كانت مجردة عن المادة، لأنّ المعنى لا يُرى إلا في المادة. فالعِلم مثلاً ليس له أثر بذاته ما لم يتعلق بإنسان، والسمع لا أثر له إلا بوجود الأذن، والنظر لا أثر له إلا بوجود العين، والنظر لا يعني الإبصار قال تعالى **﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾**[١٤٩] فالبصر يتعلّق بالإدراك قال تعالى **﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ...﴾**[١٥٠] لهذا فإنّ العقل ليس له أثر بذاته، فالذي يعقل هو ما يقوم به، ألا وهو القلب. قال تعالى **﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾**[١٥١] فجاء أصحاب الإرهاب الفكري بمسمى العقل نيابة عن القلب، وربّما نسبوه أحياناً إلى الدماغ. ويقولون ليس للقلب عمل غير ضخّ الدم، فمن صدّقهم فقد كذّب الله سبحانه، واختار منهج الدجال. فالدجال يبني دولته على الكذب والتضليل سواء في المعتقدات أم العلوم.

لقد انشغل الناس بحفظ حروف القرآن ورسمِه، ومن المعروف أن حِفظ القرآن ليس معناه حِفظ حروفه عن ظهر قلب، لهذا أغفلوا التدبُّر الذي أمر الله به، وهو الذي لا يكون من قلب مقفل لا تستطيع التدبُّر إلا إذا تمّ فتح قفله. ومن أعظم مفاتيح القلوب الصلاة على المحبوب النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله. فإذا فُتِح القفل عن القلب يتّضح له حينئذٍ ما أودع الله في القرآن من كنوز المعرفة والعِلم، ويستبين عبر الترتيل والتدبّر ما أنزل الله من البيّنات والهدى، ليتيسّر للناس الأخذ بها، فالمطلوب هو الإيضاح للناس ما أنزل الله من البينات قال تعالى **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَـئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾**[١٥٢] ، ولم يأمر سبحانه بحفظ القرآن في حروفه بل قال تعالى **﴿...فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ...﴾**[١٥٣] قال علي عليه السلام **"يأتي على الناس زمان لا**

---

[١٤٩] سورة الواقعة : ٨٣-٨٥
[١٥٠] سورة الأنعام : ١٠٣
[١٥١] سورة الحج : ٤٦
[١٥٢] سورة البقرة : ١٥٩
[١٥٣] سورة المزمل : ٢٠

يبقى فيما يبقى من الإسلام إلا إسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى، علماؤهم شرّ من تحت أديم السماء من عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود"[١٥٤]. وأكثرهم الذين يميّزون أنفسهم بارتداء زيّ معين لستر عورتهم المعرفية وليُشار إليهم من بين الناس بأنهم أهل العِلم في الدين ويأخذون أجراً من الحاكِم على أداء الصلاة ، ولا ينتظرون الأجر من الله عليها. فهم المؤلفة قلوبهم بالأجر لأداء الصلاة، وإصدار الفتاوى للسلطان الذي يستطيع طردهم من منابرهم وتجريدهم من صِفة العِلم التي كساهم إياها مع الرواتب الشهرية.

[١٥٤] البيهقي

العِلم بالمستقبل

تستبين الآيات القرآنية بالتدبّر، وتظهر كنوزها لمن جعل إمامه ومرجعيته الرحمة المهداة، قال تعالى: ﴿**...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ...**﴾[١٥٥] فمن لم يكن لهم يقين بأنّ هذا القرآن هو **التبيان** لكلّ شيء، وللتفصيل الذي في كتاب موسى عليه السلام، فهم أجهل الناس مهما وصفوا أنفسهم بالعِلم، أو سمّوا أنفسهم بهيئة كبار العلماء بقرار صادر من حاكِم لا عِلم له، فهم الذين يأخذون بآيات الله ثمناً قليلاً. ولا يعني يقينك بأنّ القرآن هو التبيان لكلّ شيء أن تعلم كلّ شيء، فذلك لا يكون إلا بفتح من الله للمتقين ﴿**...وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ...**﴾ فالتقوى هي اللباس العِلمي قال تعالى ﴿**...وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ...**﴾[١٥٦] ولكن هناك من يغفل أمر التقوى، ولا يتدثر بها ويظل عارياً دون لبسها، وينبري للتفسير والتأويل والفتوى لأنّ الحاكِم يعطيه أجراً شهرياً، وأطلق عليه لقب "عالِم". فأولئك هم أصحاب العورة المعرفية الذين أشرت إليهم من قبل الذين يفتقدون لباس التقوى، ويحاولون ستر سوءات عِلمهم بالمظهر الخارجي، والزيّ المميّز لهم بين الناس، وبوظائفهم الحكومية.

قال تعالى ﴿**بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ...**﴾[١٥٧]. وذلك يعني القلوب التي في الصدور فهي التي تعقل. ولا قيمة للعِلم إلا بالتواضع ونبذ التعالي والتكبّر باسم العِلم، كما رجعت الملائكة بقولها ﴿**...سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا...**﴾[١٥٨] رغم عِلمهم بما سيكون من فِعل الإنسان من فساد وسفك للدماء وبعد أن قالوا ﴿**...أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ...**﴾[١٥٩]. فقد رأوا في تقديسهم الله وتسبيحهم له وعدم إفسادهم أنهم الأفضل في الخلق، لكن الله سبحانه المقدِّر بعِلمٍ، والمجري بقدر، والمدبّر بأمر أراد الإنسان أن يكون خليفة في هذا الوجود بما هو عليه ﴿**...وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ...**﴾[١٦٠] لهذا لم يطالبه بالعصمة بل بالإستغفار عند حدوث الزلل ليغفر له **"كل بني آدم خطّاء وخير الخطّائين التوّابون"**[١٦١]. فعِلمُ الملائكةِ بالمستقبل ليس هو العِلم الذي يعوّل عليه. والعِلم بما سيكون أي معرفة المستقبل هو من الغيب المتاح لبعض الناس، وليس هو الغيب الذي اختص الله به تعالى نفسه، فذاك عِلم النفع والضر وهو ﴿**...وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ**

---

[١٥٥] سورة النحل : ٨٩
[١٥٦] سورة الأعراف : ٢٦
[١٥٧] سورة العنكبوت : ٤٩
[١٥٨] سورة البقرة : ٣٢
[١٥٩] سورة البقرة : ٣٠
[١٦٠] سورة هود : ١١٨-١١٩
[١٦١] الحاكم

وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[١٦٢] ، أما غيب المستقبل، فهو كما أشرت من قبل، قد يكون متاحاً لبعض الناس، ومن ذلك علماء الأرصاد وعلماء الفلك في الخسوف والكسوف. وأثبت الله سبحانه ذلك في كتابه. فما كان بين شعيب وموسى عليهما السلام أوضح مثال حيث تمّ عقد النكاح على بنت شعيب على أن يكون المهر خدمة موسى لشعيب ثماني حجج، **﴿...أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ...﴾**[١٦٣]، وقال شعيب لموسى عليهما السلام **﴿...فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ...﴾**[١٦٤] وهذا يعني المعرفة المسبقة عند شعيب وموسى عليهما السلام أنّهما سيظلان على قيد الحياة ومعهما بنت شعيب لأكثر من ثماني حجج. المعروف أنّ المهر هو حق الزوجة، ويظهر في هذا العقد غير ذلك، لكننا إذا تمعنّا في حقيقته نجد أن موسى عليه السلام سيقوم بالخدمة بدلاً عن زوجته أي في رعي الماشية وسقياها,

ومن رأى أنه عالِم، أو وصف نفسه، أو قبِل أن يوصَف بأنه عالِم، فهو الجاهل، لأنّ طلب العِلم لا ينتهي من المهد إلى اللحد، وفوق كلّ ذي عِلم عليم. والعِلم إذا لم تصحبه الأخلاق فهو عِلم لا ينفع، وليست كلّ العلوم ذات فائدة، فهناك عِلم لا يضرّ الجهل به كما جاء في الحديث. ولا يوجد أعلم من إبليس عليه لعنة الله. فقد كان يعلم أنّه ستكون ذرية لآدم، ومنهم من لا سلطان له عليهم، كما ويعلم أنّ هناك يوم للبعث. كلّ ذلك وآدم كان ما يزال في طينته.

[١٦٢] سورة البقرة : ٢١٦
[١٦٣] سورة القصص : ٢٧
[١٦٤] سورة القصص : ٢٧

الصحبة وأحوالها

الصُحبة التي ذُكِرت في القرآن لا تعني الموافقة في الرأي والإيمان، إنّما يظهر منها اللقاء دون شرط الموافقة في العِلم أو النوعية. ومن ذلك قوله تعالى **﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ...﴾**[١٦٥] والأصحاب هنا هم الكفار **﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾**[١٦٦] **﴿...تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ...﴾**[١٦٧] والأصحاب في هذه الآيات هنا هم الكفّار وكيفية علاقتهم بالنبي صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله. فهي تُشِير إلى الصحبة مع وجود التباين في الرأي والاختلاف في الإيمان. فليس هناك أكثر جهلاً ممن يقول إنّ الصحابة خطّ أحمر، ويرفعهم إلى مقام النبي في العِصمة، ويصلي عليهم أجمعين معه أيضاً، رغم قول النبي صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله **"في أصحابي اثنا عشر منافقاً..."**[١٦٨]. فالصاحب كما أسلفنا لا يعني إيمانه بمن يصاحبه أو يتفق معه في الاعتقاد.

وتتضح عدم الموافقة في الرأي والاعتقاد في الآية **﴿...إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ...﴾**[١٦٩] وذلك لما يلي:

أولاً: إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وهذا الصاحب حزِن فخرج عن زمرة الأولياء.

ثانياً: النبيّ صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله لا ينهى عن فضيلة، مما يدلّ على أنّ حزن صاحبه لم يكن فضيلة بل أمر نهاه النبي عنه.

ثالثاً: الحزن يدلّ على شيء افتقده المرء، وأنّ حاله الآن أسوأ مما كان عليه فهكذا كانت حال ذلك الصاحب. فالحزن لا يكون لما يتوقع حدوثه مستقبلاً، ولكن الأمر في الغار كان حالة خوف من أمر متوقع حدوثه، ولم يقل له النبي لا تخف.

رابعاً: إنّ الله ينزل السكينة على المؤمنين، ولكن في هذه الحالة أنزل الله سكينته على النبي واستثنى صاحبه **﴿...فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا...﴾**[١٧٠] ولهذا كان التأييد الإلهي بجنود مخفيين وليس كما يقال بالحمامة والعنكبوت.

---

[١٦٥] سورة النجم : ٢
[١٦٦] سورة التكوير : ٢٢
[١٦٧] سورة سبأ : ٤٦
[١٦٨] مسلم
[١٦٩] سورة التوبة : ٤٠
[١٧٠] سورة التوبة : ٤٠

ولهذا أرى أنّ ذلك الصاحب في الغار لم يكن من المؤمنين، فالأرجح أن يكون هو الدليل وليس "أبوبكر"، وكان حُزنه خوفاً على فشل مهمّته، لهذا طمأنه النبي صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله بقوله ﴿**...لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا...**﴾[١٧١]، ومن يصرّ من أصحاب النقل والمكابرين بالموروث والأخذ به كما هو بأنّ الصاحب في الغار هو أبو بكر فليتحمّل تبعات ذلك فيما أشرت إليه من قبل، ولهذا فالأولى مراجعة الموروث، والأخذ بروايات أخرى وصلتنا تظهر أن النبي هاجر لوحده من مكة، وتبعه أبو بكر بعد أيام من ذلك، وأن الصاحب في الغار كان الدليل على الطريق.

وأما الاختلاف في النوعية فيما يتعلق بالصُحبة فمثاله صاحب الحوت ﴿**... وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ...**﴾[١٧٢]، وأصحاب الكهف ﴿**... أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ...**﴾[١٧٣]، وأصحاب الرسّ ﴿**... وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ...**﴾[١٧٤]، وأصحاب الحِجر ﴿**... كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ...**﴾[١٧٥]، وأصحاب الأيكة ﴿ **كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ...**﴾[١٧٦]، وأصحاب مدين ﴿**وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ...**﴾[١٧٧]، وأصحاب الأعراف ﴿ **وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ...**﴾[١٧٨]، وأصحاب النار ﴿**... أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ...**﴾[١٧٩].

نلاحظ في هذه الآيات أن اللفظ الذي يفيد الملازمة هو "صاحب" للفرد و"أصحاب" للجمع ويعرف دائماً بإضافة من لازمه إليه، كصاحب الحوت وأصحاب الرس. ولم يرد لفظ "الصحابة" في القرآن الكريم، فهو مصطلح جاء متأخراً ليعني كلّ من رآى النبيّ صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله وأسلم له. ولا يخلو هذا المصطلح من إشكالات في دلالته وما ألحق به من أوصاف هي من خصائص النبوة كالإقتداء والإهتداء بهم وعدالتهم التي قاربت حدّ العصمة!

[١٧١] سورة التوبة : ٤٠
[١٧٢] سورة القلم ٤٨
[١٧٣] سورة الكهف ٩
[١٧٤] سورة قاف ١٢
[١٧٥] سورة الحجر ٨٠
[١٧٦] سورة الشعراء ١٧٦
[١٧٧] سورة الحج ٤٤
[١٧٨] سورة الإعراف ٤٨
[١٧٩] سورة البقرة ٣٩

عدالة الصحابة

يقول الله سبحانه وتعالى في خطابه لإبليس (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ...) ومعلوم أنّه لا يخرج من العبودية لله أحد من خلقه، ورغم ذلك فإنّ العباد الذين ليس للشيطان عليهم سبيل هم جزء خاص من الكل، وهم الذين اختصهم الله برحمته قال تعالى (...وَاللَّـهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ...) فعلم من كلمة (عِبَادِي) في هذه الآية أنها لا تعني الكل على الرغم من أنّ الكلّ عباد الله. وقال تعالى (تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا...) ومعلوم أن الريح التي أرسلها الله إلى عاد قوم هود لم تدمر كلّ شيء!. فيتبين أن التعميم قد لا يعني الكل ويُعلم ذلك من ملاحظة الظواهر المرافقة للأمر المعمّم به. ففي العباد يوجد من استهوته الشياطين ومنهم من تشاركه في الأموال والأولاد. ومن هنا يمكن القول بأنّه متى ما وجد تعميم فإمكانية الاستثناء واردة.

وقد جاء بعض علماء المسلمين بقاعدة "عدالة الصحابة" وحرَّموا قبول الاستثناء فيها، ليصير كلّ صحابي عندهم لا يذنب ولا يكذب، ويكادوا يقولون لا يخطئ. فإذا ثبت خطؤه قالوا إنّ له أجراً في هذا الخطأ، ولو أصاب لكان له أجران!! وهذا ينطبق عندهم على كلّ من رأى النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله، وآمن به ومات وهو يشهد أن لا إله إلا الله. لأنّ ذلك هو تعريف الصحابي عندهم وكل من انطبق عليه هذا التعريف فهو صحابي وهو من العدول لأنّه قد ثبتت له الصُحبة!! ولا يفرقون بين صحابي وآخر وإن اختلفا وتخاصما، وبلغ بهما الخصام حدّ العداوة والاحتراب والقتل، فكليهما مصيب عندهم وإن كان مخطئاً. وإن اقتديت به اهتديت إلى الطريق الصحيح وإلى طريق الجنة..، ورضي الله عن سيدنا المخطئ هذا لأنّه صحابي! كما قيل لطلحة بن عبيد الله الذي نكث بيعته على أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وخرج محارباً له يقود الجيش باغياً في وقعة الجمل وقُتل. فهل يُصنّف بهذا العمل عدوّاً لأمير المؤمنين أم حبيباً له؟ والنبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله يقول لعليّ "اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه" وهل هناك عداوة فوق القتال؟ فقالوا رغم ذلك كله رضي الله عن طلحة فيما فعل، وهو مع عليّ في الجنّة...!! ومن اقتدى به فقد اهتدى!! ولا يصحّ الكلام عن صحابي عندهم إلا بالمدح. أما النقد فمحرّم عندهم. ولكنّه مُباح في شخص النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله!! فلا حرج عندهم إن قلت إن النبي عبس، ولكن الويل لك إن قلت إن الذي عبس هو أبو بكر أو عمر!! بل الويل لك إن نفيت العبوس عن النبي صاحب الخُلُق العظيم إذ يمكن أن تستتاب من ذلك!!

لقد وُضعت النصوص المؤيدة لقاعدة "عدالة الصحابة" ومنها "أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم" وهذا الحديث تبدو عدم صحته من متنه، إذ مَن المخاطب بهذا الحديث؟ بمعنى آخر مَن هؤلاء الذين يُخاطبهم النبي بهذا الحديث يخبرهم به عن أصحابه؟ هل الحديث موجه إلينا عبر القرون؟ وإن كان كذلك - وهو ما لا يعقل - فمن الذي نقله من مصدره؟ بالتأكيد إن الذين خاطبهم النبي بهذا الحديث غير صحابة، لأنّه يحدثهم عن الصحابة، وهم الذين نقلوا إلينا هذا الحديث، فالحديث منقول من أناس سمعوه من النبيّ وهم غير صحابة، فالحديث يُسند إلى غير الصحابة. ولو كان الخطاب من النبيّ صلى الله وبارك عليه وآله إلى صحابته لأصبح لفظ الحديث "أنتم كالنجوم من اقتدى بأيّكم اهتدى". فالناقل للحديث غير صحابي، ويكفي طعناً في الحديث أن يكون ناقله غير صحابي بشهادة النبيّ صلى لله وبارك عليه ووالديه وآله الذي خاطبه. ومنها حديث "إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا" وهو كسابقه لا تقوم به حجّة لأنّه لم يوجه إلينا عبر القرون أو بالإنترنت. ومنها حديث "لا تسبّوا أصحابي فلو جاء أحدكم بمثل جبل أُحد ما بلغ معشار أحدهم أو نصيفه". والصحبة لا تعني بالضرورة محبّة المصحوب أو اتباعه أو موافقته في منهجه وسلوكه، وقد يكون معناها التواجد في زمن واحد، قال تعالى (وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ)، والمخاطبون بالصحبة هنا هم الكفار. قال تعالى (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ...)، وقال تعالى (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ...) وهنا معناها المرافقة مع عدم الموافقة قال تعالى (قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي...) ومعلوم أنّ موسى عليه السلام لم يوافق الخضر عليه السلام في كلّ ما فعل رغم صحبته له، لهذا ليس كلّ أصحاب النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله على قدر واحد من محبّتهم وقربهم وطاعتهم للنبيّ صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله، ولا على قدر واحد من التقوى والإيمان، فهم درجات منهم الأصفياء والأتقياء ومنهم دون ذلك، بل منهم من قال فيهم رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله "في أصحابي اثنا عشر منافقاً منهم ثمانية لا يدخلون الجنّة حتى يلج الجمل في سمّ الخياط" فثبت بهذا الحديث أنّ في الصحابة منافقون. فالصاحب قد يكون صديقاً أو مرافقاً أو منافقاً أو كافراً. لهذا فإن الذين يصرّون على قاعدة عدالة الصحابة أجمعين لا تسعفهم في كلّ الأحوال، بل تضطرهم أحياناً لليّ عنق الحقيقة والمكابرة.

ولأنّه لا يوجد عندهم أيّ استثناء لهذه القاعدة فإنّه لا توجد عندهم أخطاء لصحابي. بل إن أخطاءهم تُظهر في صورة مناقب لهم، ولو كانت هي نفسها معارضة للنبيّ، ومخالفة لهديه وأمره، والمخالفة تُصنّف كفراً بدلاً عن مناقب!!! لأنّ الأمر الإلهي هو وحده الذي ليس فيه استثناء لأحد من الخلق لتصح له معارضة أمر النبي أو مخالفته أو التحدي له. ولكنّ قاعدة عدالة الصحابة التي لم تستثن أحداً من الصحابة، حيث صاروا كلهم عدولاً بهذه القاعدة، ألزمت واضعيها بليّ عنق الحقيقة، وجعل المخالف لأمر الله بإتباع النبي، موافقاً للأمر الإلهي، وإن خالف النبي مع أنّ مخالفة النبي هي مخالفة لأمر الله تعالى (...فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي

الْأَمْرِ...) و (مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّـهَ...) !!! فجعلوا النبي بشراً عادياً لا ميّزة له على بقية الصحابة. والرسالة من عند الله يجب عليه فقط تبليغها - كما يمكن لأي واحد منهم تبليغها- وعليه يمكن عندهم أن يُخَطَّىء النبيّ في تطبيقها ويصحّحه أحد الأصحاب؛ والله جلَّ شأنه يأخذ برأي ذلك الصحابي الذي هو عندهم أحرص من النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله في تطبيقها، ويؤاخذ النبيّ في أسلوبه في تطبيق الرسالة. وبذلك يكون الصحابي الذي خالف النبي أو عارضه أو انتقده، لم يخالف الله رغم أمر الله سبحانه له (...وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا...) وقوله تعالى (...فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ...) ويكون الحقّ سبحانه - بقبول رأي ذلك الصحابي - قد نسخ ما أمر به في إتباع النبي، ونسخ التسليم له في كلّ ما يقول ويأمر، ونسخ أن تكون مشاققته كفر وأنّ الائتمار بأمره هو الإيمان، بل جعل مخالفته عندهم هي الحقّ، ومعارضته هي القوة في الحقّ، وإنّه يستحق عندهم المؤاخذة من ربّه في أسلوبه الخاطئ في أداء الرسالة؛ على الرغم من تفويض الله له الأمر في الدين كلّه لقوله تعالى (...وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا...)، فيكون الله سبحانه عندهم فّوض النبي ولم يلتزم بهذا التفويض في أمر الدين. وعدم الالتزام الإلهي عندهم من صنيعهم هم. إذ لا وجود لآية ناسخة لأمر الله في هذا التفويض، ولكن نَسَخَها أصحاب "عدالة الصحابة" من قلوبهم ليتّهموا الحقّ سبحانه في اصطفائه وحبّه للنبيّ، وفي ثقته في من أرسله، وفي إلزام الناس بالأخذ عنه، ولزوم الأدب معه، حتى في أسلوب التحدّث والمخاطبة، وليقلبوا معنى آيات الودّ بين الله ورسوله إلى آيات مؤاخذة من الله إلى رسوله كتفسيرهم لقوله تعالى (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا * إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّـهُ...) حيث جعلوها في محلّ المؤاخذة. بينما هي حقيقة تعني عكس ما قالوا تماماً. فالله سبحانه في هذه الآية أراد لحبيبه ألا يقيد نفسه بزمن محدّد لفعله فيُضَيق على نفسه، بل أراد له أن يقيد فعله بالمشيئة ليكون له من الوقت حسب ما يريد، ومتى فعل الشيء بإرادته تكون تلك مشيئة الله في ذلك الوقت الذي اختاره للفعل. وما قلبوا معاني الآيات إلا ليتسنّى لهم تصحيح مواقف الأصحاب، ولو عرف أحدهم بمعارضته للنبيّ في كثير من المواقف والخروج على أمره ليجعلوه قوياً في الحقّ!! إذ أنّ مواقف النبي عندهم في أداء الرسالة ضعيفة لا ترقى إلى طموح ذلك الصحابي الذي جعلوا معارضته للنبي قوّة في الدين - بدلاً من أن يرفضوا الآثار والأحاديث التي تدل على أنّه عارض النبي- بينما يجب أن يقولوا إنّ معارضة النبيّ هي الكفر والضلال مهما يكن المعارض..!، ولكن قاعدة عدالة الصحابة التي ابتدعوها تلزمهم بتحسين كلّ أعمال الصحابة حتى ذلك الذي كشف عن إسته لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام حينما ولّى هارباً منه وأدركه وأراد قتله!! فيكون كشف العورة عندهم فعل صحابي عدل يمكن الاقتداء به والاهتداء بفعله!! على قرار "بأيهم اقتديتم اهتديتم" فيجعلون ذلك الصحابي من العدول - حسب القاعدة - ولا فرق بينه عندهم وبين من أراد قتله - إن لم يكشف له عن عورته- الذي قال فيه النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله "علي أخي في الدنيا والآخرة" و"من سبّ عليّاً فقد سبني" "من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه". وحينما وصف

عمرو بن العاص عمر بن الخطاب في خطابه للذين كانوا يحاصرون عثمان بن عفان، بناءً على طلب عثمان، جاء في خطابه "ثم وليها الأحول بن حنتمة"، يعني عمر بن الخطاب. وغضب لذلك بعض المتحيّزين لعمر، وقال عن عمرو بن العاص: "ما رفعت العَنزُ ذيلها لتكشف عن عورتها إلا لتتقي القتل اقتداء بابن النابغة (عمرو بن العاص)."

إنّ قاعدة عدالة الصحابة جعلت لهم الحقّ في التشريع دون النبي وعدم الالتزام بأمر النبي..!! فلا يرى أصحاب هذه القاعدة بأساً في فعل من تطاول ومنع من بعثه رسول الله ليقول للناس "من قال لا إله إلا الله دخل الجنة" وهو يحمل نعليّ رسول الله!! فالنبيّ يأمر بشيء وذلك يمنع تنفيذ أمره (لقوّته في الحق كما يقولون) ليكون منعه تشريعاً عندهم، لأنّ مخالفة الصحابي ومعارضته للنبي جائزة عندهم لأنّه عدل. وإذا قال النبي "ءأتوني بكتف ودواة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده" يرفض ذلك الصحابي أمر النبي ويمنع تنفيذه ويقول "حسبنا كتاب الله"، بينما النبيّ صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله الذي قال الله فيه (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ) يقول لهذا الصحابي "إنك امرؤ فيك جاهلية"، ولا يلتفت لهذه الجملة الصادرة عن النبي أحد من المسلمين بل إنّ من يرددها يعرّض نفسه للاتهام بهدم الدين والخروج عن ملّة أهل السنة والجماعة. - فليتكلم الناس عندهم عن النبي صلى لله وبارك عليه ووالديه وآله بلا حرج ولكن لا يتجرأ أحد عن الحديث عن عمر إلا بمدح - ولا يتجرأ أحد بوصف عبد الرحمن بن عوف بوصف عمر له بأنّه فرعون هذه الأمّة!!

والذي يعتبر أنّ كلمة "حسبنا كتاب الله" مصيبة وأنّها قوة في الحق، والذي يرى أنّ قائلها اجتهد وأصاب، والذي لا يرى بها بأساً، كلهم يعومون في بحر الجهل والظلمات على اقل تقدير، إن لم يكونوا قد غطسوا في لجّة الكفر، وذلك لأنّ كتاب الله الذي يدعون أنّه حسبهم يأمرهم أمراً صريحاً واضحاً لا لبس فيه بأنّه ليس لهم الخيرة من أمرهم إن كانوا يؤمنون بأنّ محمداً رسول الله وصفيّه وحبيبه. ويأمرهم بصريح العبارة - لا يستثني منهم أحداً في ذلك - قائلاً (...وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا...) فكيف يدعون أن حسبهم كتاب الله وبرفضهم لأمر النبي قد خالفوا كتاب الله..؟؟!!! والله سبحانه يحذّرهم من المخالفة لرسوله حتى لا تقوم لهم حجّة في المخالفة، وحتى يعي من لـه أذن واعية خطورة التحذير الإلهي فيرعوي عن مخالفة النبيّ، ويسلم له في كلّ ما يقول ويأمر ويفعل، تسليماً كاملاً، ظاهراً وباطناً، دون حرج نفسي (كالذي يقبل الحجر الأسود وهو كاره لذلك الفعل- رغم إن ذلك فعله رسول الله - ويصرح بذلك في قوله "لولا أنّي رأيت رسول الله يقبلك لما قبلتك") فالتحذير الإلهي عن مخالفة النبي يتبعه التهديد بالعذاب الأليم قال تعالى (...فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ).

إنّ قاعدة عدالة الصحابة قد رفضها الحق سبحانه وتعالى ابتداءً قبل أن يبتدعوها (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) فقد قال تعالى في أحد الصحابة يقال إنّه الوليد بن عقبة أخو عثمان بن عفان لأمّه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا...) فوصف الله سبحانه ذلك الصحابي بالفسوق. ووصف الله سبحانه بعضاً من الصحابة بإيذائهم للنبيّ في قوله تعالى (...إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ...) ومعلوم ما هو جزاء من يؤذي النبي فقد قال تعالى (...وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّـهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) . وقال فيهم عزّ من قائل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ...) فكيف يستقيم وضع قاعدة "عدالة الصحابة" بعد أن كشف الله عن بعض من الصحابة يتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول؟؟ وفيهم من كان يكذب على رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله في حياته حتى اضطر لتحذيرهّم قائلاً "من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" وقد بيّن الله سوء سلوك ونيات بعضهم بما تشمئز منه الأنفس، حيث أوضح الله سبحانه أن هناك من بين الصحابة من لا يتردد في الطمع في نساء النبي - قاتله الله- وهذا قد بلغ من الدناءة والانحطاط ما لم يسبق عليه من كفار الأمم السابقة. وإن الدرك الأسفل من جهنم اقلّ عقاباً مما يستحقه. قال تعالى (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ...) فبيّن الله سبحانه أنّ هناك من الصحابة من في قلبه مرض ولا يتردد في الطمع في نساء النبي، حتى حذّرهنّ الله تعالى منه، ومثل هذا يدخلونه بقاعدة "عدالة الصحابة" في العشرة المبشّرين بالجنّة..!، على الرغم من تصريحه في قوله "لإن مات محمد لأنكحنّ عائشة من بعده" فيسقطون حرمة عرض النبي بل لا يلتفتون إليها لحرصهم على عدالة ذلك الشقيّ الذي لو كان هناك واحد من الصحابة يوصف بالنفاق لما ذهب الوصف إلى غيره، فقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله "في أصحابي إثنا عشر منافقاً منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سَمِّ الخِياط" ولكن "عدالة الصحابة" لا تسمح بذلك ولو كان الثمن التضحية بقدسية عرض النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله، وعدم الإصغاء إلى حديثه بأنّ هناك منافقين بين الصحابة، فإذاً لماذا وضعوا هذه القاعدة التي لا تستثني أحداً ويصلّون على الأصحاب أجمعين!!!

الرُسل والقتال

إنّ أعظم آية في كتاب الله هي آية الكرسي، وهي التي جاء بعدها مباشرة قوله تعالى **﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...﴾**[١٨٠] فمحمّد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله عندما فتح مكّة لم يأمر أهلها بقول "لا إله إلا الله محمّد رسول الله"، بل تركهم طلقاء من شاء منهم أن يؤمن ومن شاء فليكفر، وكان فيهم أبو سفيان ومعاوية، ولم يطلب من أحد إعلان إسلامه. فلا يُعرف من بقي من أهل مكّة على الكفر ممن أسلم، ولا يُقال إنّهم صاروا جميعاً صحابة مسلمين. كما أنّ الصُحبة لا تعني الموافقة في الاعتقاد والإيمان، كما أوضحنا من قبل، فلم يكن فتح مكّة قتالاً لفرض الدين على الناس، بل إنّ الدافع إليه ما كان من منع الكفار لأتباع محمد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله من أداء فريضة الحجّ للبيت العتيق، ولم يفرض النبيّ عليهم جزية بعد الفتح، ولم يُنزل عليهم عِقاباً، ولم يقم بسبي النساء، بل قال **"اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد"**[١٨١] وذلك لأنّه قام بقتل عدد من الكافرين.

وهنا نقول بأعلى صوت للذين يقولون إنّ الإسلام انتشر بحدّ السيف: كذبتم!! فالذي نشر بحدّ السيف هو النفاق، فالرسول صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله قال **"نُصِرت بالرعب"**[١٨٢]. وجاء الإكراه في الدين بعد السقيفة مباشرة، إذ بدأت اللهفة على المُلك، فقد كانت نظرتهم للنبيّ صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله أنّه حاكم صاحب سلطان، فكان تفكيرهم حول من يخلفه في المُلك، لهذا قال أحد رجال السقيفة **"منّا أمير ومنكم أمير"**[١٨٣] فهل كان الرسول أميراً؟ ثم إنّ هذا الأمر كان قبل أن يُصلّوا على نبيّهم الراحل، فكيف تسابقوا إلى السقيفة وتركوه مسجّىً؟!، وحتى حين دفن جثمانه الشريف لم يُصلّ عليه أبو بكر ولا عمر كما ذكرت بعض المصادر، وكان كلّ همّ أصحاب السقيفة تقاسم السلطة باسم الدين **"نحن الأمراء وأنتم الوزراء"**[١٨٤] ومنذ تلك الحادثة أصبح الأمر سياسةً وسلطة دولة، فقد أفتوا بأنّ الأولوية للسلطة وترسيخها، فهي أهمّ من الصلاة على النبي، لهذا لم يُصلّوا عليه، وبعد وقت قصير من ذلك تمّ قتل المسلمين الذين لم يدفعوا الزكاة للخليفة الأول. فقد كان لهم رأي في من تُدفع له الزكاة، وأنّها يجب أن تكون لعليّ عليه السلام لأنّه مولى المؤمنين بعد رسول الله لقول النبيّ **"من كنت مولاه فعليّ مولاه"**[١٨٥] ، وأنّ الزكاة محرّمة على الخليفة، لهذا لم يسمع لرأيهم وتمّ قتلهم رغم إسلامهم. وقالوا تبريراً

---

[١٨٠] سورة البقرة : ٢٥٦
[١٨١] البخاري
[١٨٢] البخاري ومسلم
[١٨٣] البخاري
[١٨٤] البخاري
[١٨٥] الترمذي

لفعلتهم: هي حروب الرِدّة لعصيانهم الخليفة!! لكنّها في الحقيقة هي حرب العِقال، وليست حرب الرِدة. فقد قال الخليفة "والله لو منعوني عِقال بعير كانوا يؤدّونها لرسول الله لقاتلتهم عليه"[١٨٦]، فكانت حرباً لعصيانهم الخليفة وليس لكفرهم، فالمرتدّ أو الكافر لا يُقتل لكفره، إلا إذا كان محارباً وقبل أن يؤسر، ولم يقتل النبي صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله من رفض دفع الزكاة من قبل، بل كان عقابه عليه سلبياً بأن رفض الرسول قبولها منه بعد ذلك. لهذا أصبح الدين في العهد الجديد هو طاعة الخليفة، وأنّ من يعصه يُوصف بالردّة ويُحارب ويُقتل وتسبى زوجته، بينما النبيّ صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله قال له تعالى **﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ...﴾**[١٨٧] وقال تعالى **﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾**. وهل عدم دفع الزكاة يعتبر رِدّة توجب القتل؟ فقول الله تعالى **﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً...﴾**[١٨٨] لا تعني الإكراه على دفعها وإجبارهم على ذلك، وإلا لما كان النبيّ أن يرفض أخذها من ثعلبة عِقاباً له لعدم دفعها. فالدين كلّه لا إكراه فيه فكيف يكون هناك إكراه على دفع الزكاة؟ فلا يوجد مبرّر في الشرع لقتل من لم يدفع الزكاة، ولا لمن يرتدّ عن دينه، وعصيان الخليفة أو الأمير لا يُبيح له القتل في شريعة رسول الله صلى الله وبارك عليه وعلى والديه. ولكن هذه شريعة الخليفة الأوّل الذي وردنا في الموروث أنّه قال: من كان يعبد محمّداً فإنّ محمّداً قد مات.

ما ذُكِر عن حروب النبيّ محمد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله ضدّ الكفار والمشركين يجب تبيينها وخطأ تسميتها. لقد سُمِّيت معركة بدر ومعركة أُحد والخندق غزوات، بينما هي لم تكن إلا دفاعاً. وما كان رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله غازياً في تلك المعارك لنشر الإسلام، وإجبار الناس على الدخول فيه وترك دينهم وكتبهم، بل كانت معارك للدفاع وصدّ العدوان، فمعركة بدر كانت لاعتراض قافلة المشركين القادمة من الشام لاسترداد حقوق الذين آمنوا التي أُخِذت منهم بمكة، ولم تكن لنشر الدين، ولم تكن عدواناً بل لردّ حقوق أُخِذت منهم كما أشرنا، لكنّ أهل مكّة سمعوا باعتراض قافلتهم لهذا حشدوا لقتالهم بجيش جرار ليطفئوا نور الله. فكان النصر من عند الله للذين آمنوا ورفع شأنهم، لكنها لم تكن بداءة بغرض نشر الدين. قال تعالى **﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ...﴾**[١٨٩] إذ لم يكونوا حينها في موقف القوي الذي يريد أن يفرض الدين على الناس. وهل يكون الغُزاة قوماً وصفهم الله بأنّهم أذلة؟ فلا يصحّ إذن تسميتها بغزوة.

و"أحد" جبل بالمدينة جاء الكفار إليه من مكّة غزاة على الذين آمنوا، وكانت معركة للدفاع عن المدينة ضدّ الكفار الغزاة، وهي كذلك معركة في سبيل الله للدفاع عن الديار والحقّ والدين، ومن مات

---

[١٨٦] البخاري
[١٨٧] سورة الشورى : ٤٨
[١٨٨] سورة التوبة : ١٠٣
[١٨٩] سورة آل عمران : ١٢٣

مدافِعاً عن حقه ودينه مات في سبيل الله. وما أعجب ممن يُسمّي الذي يحفر خندقاً لحماية نفسه غازياً، إذ سميت بغزوة الخندق. وهذا ما جاءنا من تحريف واختلاق في الموروث، ليلووا فهم الدين، وليغيّروا حقائق التاريخ، وليوهموا الناس في دينهم، ويصفوا من كان يحفر خندقاً لحماية نفسه بأنّه غاز، كأنّها كانت غزوة لنشر الدين وفرضه، وليقولوا كذباً وافتراء إنّ الإسلام انتشر بحدّ السيف والإكراه، ليبرّروا عدوانهم وحروبهم الاستعمارية التي سمّوها فيما بعد فتوحات إسلامية إفتراء على الإسلام، إذ لا يوجد في دين الله عند كلّ الرسل أمر لتكوين الحكومات لحرب الدول وإجبار أهلها على الدين، بل جاءوا لمنع العدوان، ولضمان حرية الإنسان وأمنه واحترام اعتقاده في الكُفر أو الإيمان وحسابه على الله.

كما أنّ الرسول صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله لم يأمر بقتل من لم يدفع الزكاة، بل عاقبه بعدم قبولها منه حين رغب بدفعها، لكن الخِلافة بعد رحيله أصبحت سلطةً وتخويفاً وفرض سيطرة وإنقلاباً على نهج الرحمة المهداة، وبدأ الأمر باتهام كلّ من أحبّ نبيّه العظيم بأنّه كان يعبده، كأنّ النبيّ كان يشير إليهم بعبادته، ولم يُعرّفهم بتوحيد الله، ولم يُصحّح عقائدهم، فقالوا "من كان يعبد محمّداً فإنّ محمّداً قد مات"[١٩٠]، وانتهى عندهم دوره في الحياة. وقد كانوا ينظرون إلى رسول الله صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله بأنّه رجل أعطاه الله الملك، وقد قال أبو سفيان لابن عباس: لقد صار ملك ابن أخيك عظيماً، وهذا الملك تجب طاعته، ومن يخالفه يعرّض نفسه للعقاب الذي يصل إلى حدّ القتل، وكذلك يكون الأمر لخليفته، بل لكلّ من يتولى الحكم إن كان مسلماً، فهو عندهم الحاكم بأمر الله، ومن يخالفه فقد كفر ويقتل.

وقام أبو بكر بحرق خمسمائة من أحاديث النبيّ صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله، ولم يهتموا بتجهيز جثمانه لمواراته الثرى،، فقد هان عليهم كأنّهم لم يفتقدوا عظيماً يصلّي عليه الله كما يظهر لكل متتبّع لما وصلنا عنهم، فالاهتمام بالسلطة وتمكينها كان عندهم أهمّ من الاهتمام بالفقيد العظيم المعظّم عند الله، لتكون الخلافة عندهم سلطة وإمارة سمّوها باسم الإسلام في عهد جديد لديهم يختلف عن عهد "محمد رسول الله"، فمن كان يعبد محمّداً فإنّ محمّداً قد مات في قلوبهم، بل قاموا بحرمان ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام ميراثها من أبيها. وجاءوا بحديث كذب مُفترى على رسول الله منسوب للخليفة صاحب العهد الجديد **"نحن معاشر الأنبياء لا نورث"**[١٩١]، بينما الله سبحانه أجرى على لسان النبي ﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ...**﴾[١٩٢] وقال عن زكريا ﴿**...فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ...**﴾[١٩٣].

يبرز السؤال هنا: هل يمكن أن يصدر حديث عن رسول الله يُخالف كتاب الله؟ فهل الأولى تصديق رسول الله فيما جاء به عن ربّه، أم تصديق ما وصلنا عن أبي بكر فيما يرويه عن رسول الله؟ أم رفض

---

[١٩٠] الترمذي
[١٩١] البخاري
[١٩٢] سورة النمل : ١٦
[١٩٣] سورة مريم : ٥-٦

الموروث فيما يُخالِف عصمة النبيّ وكتاب الله؟ وهذا هو الأسلم. إنّ المرويات التي وصلتنا تشير إلى أن أبابكر وعمر لم يصليا على نبيّهم الراحل ولا على فاطمة الزهراء عليها السلام عند رحيلها، وإنّها لفاجعة حقاً إن اعتمدنا الموروث بكلّ ما فيه. بل قام بعضهم بإصدار فتوى أصبحت قاعدة شرعية في عرفهم، وهي تنصّ على أنّ اختيار الخليفة صاحب السلطان أولى من تجهيز الميّت، والميّت المقصود به هنا هو رسول الله، ليبرّروا عدم صلاة الصحابة على سيّد الوجود، كما استندوا إلى حديث **"من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية"**[١٩٤] ليقولوا إنّ صاحب السلطان هو الدّين، لهذا كان التهافت والتناحر على من سيكون الخليفة وعدم الاهتمام برسول الله إلا من آل بيته، بل وأصبح الدين هو السلطان ومن يخالفه يُقتل، وهو المعمول به إلى يومنا هذا كأنّه هو الإسلام. ويدلّ على اهتمامهم بالسلطة ما صدر منهم في محاولة اغتيالهم لرسول الله عند العقبة، فأخزاهم الله وبيّنهم لرسوله وقال فيهم **﴿...وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ...﴾**[١٩٥] فهؤلاء كانوا لا ينظرون إلى النبيّ صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله رسولاً مطاعاً بإذن الله، بل يرونه إنساناً صاحب سلطة فقط، فكان كلّ همّهم هو من الذي تؤول إليه هذه السلطة من بعدِه، ولم يفهموا أنّ سلطة النبيّ لم تكن من الشرطة والعسكر الذين يحتاجهم الأمراء لفرض سلطانهم. قال تعالى **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ...﴾**[١٩٦]. قال تعالى **﴿...وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾**[١٩٧] وما كان موسى عليه السلام حاكماً أو والياً، فالسلطان الذي يعطيه الله لرسله هو أمر ربّاني لحمايتهم، فيكسوهم الهيبة والوقار والاحترام من قبل الناس دون حاجة إلى حراسة الجند من حولهم ورجال الأمن.

إنّ قراءة محايدة لتلك لحادثة انتقال النبي صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله إلى الرفيق الأعلى تظهر أشياء كثيرة، إذ يبدو منها أنّ هذا الانتقال قد أنهى دوره عندهم، فتجاهلوا الصلاة عليه، وأصبح الخليفة صاحب سلطة - لم يُعطها الله لرسوله - ليقتل كلّ من لم ينصاع لأمره بدفع الزكاة ويتّهمهم بالردّة، ويتهم كلّ الذين أسلموا على يد رسول الله بشركهم في حبّهم له، بينما لا يكون الإيمان إلا بحبّ محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله.

حينما نزل قوله تعالى **﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ...﴾**[١٩٨] قال المشركون أراد محمد أن يُعبد من دون الله، ويبدو أنّ هذه المقولة قد أثّرت على أبي بكر، فأراد أن يُبعِد الناس عن عِبادة محمد بترك الصلاة عليه، وترك هو الصلاة عليه في مقولته تلك، ولم يُشِر فيها إلى أنّه رسول الله. ويُستنتج من ذلك

---

[١٩٤] مسلم
[١٩٥] سورة التوبة : ٧٤. أنظر مسند أحمد.
[١٩٦] سورة النساء : ٦٤
[١٩٧] سورة النساء : ١٥٣
[١٩٨] سورة الأحزاب : ٥٦

القصد في إظهار عدم تعظيم الناس للنبيّ، وإبعاد الناس من ذلك، والتنبيه إلى العهد الجديد المختلف عما سبقه.

نسب إلى أحد آل البيت أنّه قال: "ماذا لو بدأ أبوبكر خطبته بالتعريف بالقدْر المحمّدي بعد أن يصلي عليه؟ وماذا لو قال: نحن على عهدنا وإيماننا بمحمّد صلى الله وبارك عليه وآله، وما جاء به وعلى طريقه وهديه، وهو الذي مدحه الله بالخلق العظيم، وأخذ الميثاق على كلّ أنبيائه بالإيمان به ونصرته، ولا يكتمل الإيمان إلا بحبّ محمد صلى الله وبارك عليه وآله، وهو الرحمة المهداة والرحمة التي كتبها الله على نفسه **﴿...كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ...﴾**[١٩٩] وهو من نور وجه الله الذي لا يفنى **﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ...﴾**[٢٠٠] لأنه حقّ لقوله تعالى **﴿...وَشَهِدُواْ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ...﴾** والحقّ لا ينقسم فمحمّد باق فينا بهديه وحبه **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ...﴾**[٢٠١] ".

إنّ مقولة **"من كان يعبد محمّداً فإنّ محمّداً قد مات"** يُشتمّ منها اعلان انتهاء عهد محمد رسول الله وبداية عهد جديد يلوح منه التهديد والتغيير والسلطان بدلاً من الرحمة والتبشير والاطمئنان". ومن المعروف أنّ البيعة التي تمّت في السقيفة كانت بأربعة أشخاص خامسهم سالم مولى أبي حذيفة، صاحب رضاعة الكبير، الذي وردنا أنّه كان يرضع، وله لحية كما جاء في البخاري. لذا قال عمر بن الخطاب **"إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة فمن عاد لمثلها فاقتلوه"**[٢٠٢]، كما أساءوا في تلك البيعة إلى زعيم الأنصار سعد بن عبادة الذي كان مريضاً، وقد كان الأجدر احترام الأنصار الذين فضّلهم الله بالسبق في الإيمان على المهاجرين، حيث قال الله تعالى في وصفهم **﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ...﴾**[٢٠٣] ، فقال لهم سعد: والله لا أصلّي صلاتكم، ولم يصلّ خلف أبي بكر ولا عمر، واغتيل في خلافة عمر، وقالوا قتلته الجنّ بسهم، والسؤال هو: لماذا تقتل الجن زعيم الأنصار؟ ألم يكن زعيم الكفّار أولى مثلاً؟ ثم إنّ الحادثة التي قُيّدت ضد مجهول "الجن" إذ تعد سابقة في التاريخ البشري ربّما، فلم نسمع عن اغتيالات قامت بها الجن من قبل ذلك، ولا من بعده، لهذت فإنّ اغتياله موضع ريبة وتساؤلات مشروعة عن المستفيد من هذا الاغتيال، ومن يقف وراءه..!.

إنّ البيعة في الإسلام اختيارية لا إكراه فيها، وهي ليست للسلطة أو المُلك، بل لقبول الشريعة التي هي القانون، أي التشريع السماوي الذي سمّاه الله سبحانه بالحُكم وليس المُلك، فهي اختيارية لا تعطي من بويع له سلطة على الناس. فالذين بايعوا رسول الله صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله قال تعالى له

---

[١٩٩] سورة الأنعام : ٥٤
[٢٠٠] سورة الرحمن : ٢٧
[٢٠١] سورة الحجرات : ٧
[٢٠٢] البخاري
[٢٠٣] سورة الحشر : ٩

فيهم **﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾**. وليست البيعة إجبارية بل **﴿...فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ...﴾**[٢٠٤] في قبولها **﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ...﴾**[٢٠٥]. ولكن جعل هؤلاء من البيعة للخلافة بيعة للمُلك لإكراه الناس وإجبارهم لما يريده الأمير أو الخليفة حتى لأداء الشعائر كالزكاة وقتل من لم يدفعها له. بينما الأمر في الشعائر ترغيب وترهيب لا عِقاب في الدنيا فيه، بل الدين كلّه لا إكراه فيه. فالإكراه والتقتيل والقهر الذي ظهر بعد مبايعة "السقيفة" هو شأن المُلك والسلطان وليس الدين. فخلقوا دولة سيطرة وسياسة باسم الله، لم يأت بها رسول الله ولا أحد من الرسل السابقين. فإنّ الدين جعل حريّة الإنسان فوق كلّ شيء، وحذّر المرء من التفريط فيها. وأصبح الدين عند الأعراب بعد رسول الله صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله، هو سلطان لأمير يحقّ له أن يقاتل المسلمين ويقتلهم إذا لم يستجيبوا له، وسلطان على الناس ببيعة شهِد عمر بن الخطاب نفسه بأنّها فلتة. وجاء بعده عمر أميراً بوصية من صاحب بيعة الفلتة هذه. وحرق أبوبكر خمسمائة من أحاديث رسول الله صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله[٢٠٦]. فهل لأنّه صار صاحب السلطان المطاع عند المسلمين ولا حاجة له في الرجوع إلى أحاديث رسول الله؟ وإن كان لا حاجة له فيها فهل لا حاجة للمسلمين في أحاديث رسول الله؟ أم إنّ الموروث في البخاري من مصائب الدين؟ ففي الموروث الديني يُحكَم بالنفي على من يخلقه الله حسُن الصورة إذا عجِز الخليفة عن تغيير خلق الله بتغيير حُسن خِلقته، وهذا ما فعله عمر مع نصر بن حجاج حينما رآه حَسَن الصورة، فحلق شعره فزاده الله حُسناً فلم يرُق ذلك لعمر فنفاه. فأصبحت الخلافة مُلكاً وسلطاناً لا علاقة له بالرحمة المهداة، والأخلاق المحمّدية العظيمة.

---

[٢٠٤] سورة الكهف : ٢٩

[٢٠٥] سورة الشورى : ٤٨

[٢٠٦] البخاري عن عائشة

حريّة الإنسان وأمنه

قال تعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا * إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً * فَأُوْلَـئِكَ عَسَى اللهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ...**﴾[٢٠٧].

إنّ حُرّية الإنسان وسلامة نفسه وحرمتها رسالة من الله لكلّ إنسان وهي مفروضة عليه. وقولنا إنّها رسالة من الله، ذلك أنّ الرسالة تحتاج إلى وحي، فهل أوحى الله لكلّ إنسان بهذه الرسالة؟ إنّ الوحي الجبرائيلي خاص بالأنبياء، وقد انقطع بعد رسالة محمد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله، وحتى عيسى عليه السلام حين ظهوره مجدداً لا يكون له وحي جبرائيلي. أما الوحي غير الجبرائيلي فلا ينقطع، فقد أوحى الله إلى أم موسى، وأوحى إلى النحل. فالوحي الجبرائيلي معه الحُكم أي الشرع وليس المُلك، وهو التبليغ لقيام المجتمع الصالح. أما الرسالة الخاصّة لكلّ إنسان فهي للمحلّ الذي يتلقى التبليغ، فإن لم يكن المحل صالحاً للتبليغ بوجود الأمن والحرية فكيف يُبلّغ بهذه الرسالة، ويُقال له ﴿**...فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ...**﴾[٢٠٨] لهذا فرض الله على الإنسان المحافظة على حريّته وأمنه. فالله سبحانه عظّم النفس الإنسانية، وسخّر له ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه، وجعل التكريم له وتعهّده بلطفه، وتكفّل برزقه دون شرط طاعته، لذا فرض عليه المحافظة على حرّيته وأمنه وسلامته، ليكون له الاستعداد للنظر في تبليغ الرسل للرسالة. ولا يكون البلاغ من الرسل لمجتمع فُقِدت فيه الحريّة والأمن. إنّما تكون مهمّتهم في مثل هذه الحال مساعدة الناس لإدراك حريتهم المفروضة عليهم، ليكونوا أهلاً لتُعرض عليهم الشرائع لقبولها أو رفضها، لذا كانت رسالة موسى عليه السلام هي لإخراج بني إسرائيل من حُكم الطاغية.

إنّ رسالات الأنبياء هي رحمة من الله لعباده، كما قال تعالى ﴿**...إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ...**﴾ لأنّ الله سبحانه فرض على كلّ إنسان رسالة خاصة به، وهي القيام بما أعطاه الله من تكريم ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ...**﴾ وذلك بالمحافظة على سلامته ﴿**...وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ...**﴾ والمحافظة على حريّته ﴿**وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً...**﴾ وحرّم سبحانه على كلّ إنسان ظُلم نفسه. فقيمة النفس الواحدة عند الله تعادل الناس جميعاً. فواجب على الإنسان ألا يؤذي نفسه. وظلم

---

[٢٠٧] سورة النساء : ٩٧-٩٩

[٢٠٨] سورة الكهف : ٢٩

النفس أقبح من ظلم الآخر، لأنّ ظلم الآخر قد توجد فيه مقاومة من الآخر، أما ظلم الإنسان لنفسه فهو اختياري من الإنسان لنفسه ومن أعظم ذلك قتل نفسه، وقد يكون من قبول ما يقع عليها من الآخرين من استضعافه وسلب حريته وأمنه. وفي كلّ هذه الأحوال فإنّ ظلم النفس هذا من أكبر الجرائم عند الله وجزاؤه جهنم وبئس المصير. ولا يستثنى من العذاب فيه **﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً * فَأُوْلَـئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ...﴾** لأنّه كُفر بنعمة الله **﴿وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾**[٢٠٩] وهي التكريم له والتفضيل على كثير من خلقه، والتكفّل برزقه دون شرط طاعته.

قال تعالى **﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ...﴾**[٢١٠]. هكذا يتعامل الرسول مع من يشرك بالله ويعبد الأصنام، أي يأويه ويحميه من أن يُعتدى عليه حتى يبلغه مأمنه، وذلك هو الأمر الأول في الرسالة، وهو توفير الأمن للإنسان وحفظه في نفسه، وتوفير الحرية له، وبعد ذلك حين يطمئن على حياته يُعرض عليه كلام الله ولا يُفرض عليه، وله كامل الحرية، فإن شاء قبله وإن شاء أعرض عنه. ثم بعد ذلك يتمّ توفير الحماية له والحراسة حتى يبلغ المكان الذي يجد فيه الأمان لنفسه حتى إن لم يقبل ما عُرِض عليه. فإذا لم يتوفر الأمن والحرية لا تعرض الرسالة على الناس وبالطبع لا يتم اكراههم على قبولها، فالله سبحانه نفسه لم يُكره إبليس على طاعته حين أمرَه أن يسجد لآدم. هذا هو الأصل في الدين وارسال الرسل، لتكون الأخلاق أساساً للتعامل بعد وجود الأمن والحرية، فإن لم يجد الإنسان ذلك في البلد التي يسكنها وجبت عليه الهجرة منها وقد تكفّل الله برزقه أينما كان فأرض الله واسعة، لا تحدّها الحدود الجغرافية قال تعالى **﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾**[٢١١] ما لم يكن الإنسان عاجزاً تماماً لا حيلة له في الهِجرة. لأنّ نفس المؤمن عند الله أفضل من الكعبة المشرفة قال تعالى **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ...﴾**.

نظر النبيّ صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله يوماً إلى الكعبة وقال **"ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك"**[٢١٢]. ولذلك من قتل نفسه فجزاؤه جهنّم قال تعالى **﴿...وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا... ﴾**[٢١٣].

إنّ الله سبحانه صنع هذا الوجود ببديع إتقانه في سمائه وأرضه وتنوّع مخلوقاته ما عُرِف منها وما لم يُعرف **﴿...صُنْعَ اللّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ...﴾**[٢١٤]، وجعل الإنسان خليفة في هذا الكون الفسيح وتلطّف

---

[٢٠٩] سورة النحل : ٧٢
[٢١٠] سورة التوبة : ٦
[٢١١] سورة العنكبوت : ٥٦
[٢١٢] الترمذي
[٢١٣] سورة النساء : ٢٩-٣٠
[٢١٤] سورة النمل : ٨٨

به **﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ...﴾**[٢١٥] لأنّه نفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته فاستحق التكريم من ربّ عظيم. قال تعالى **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ...﴾** لهذا أصبح وجوباً على الإنسان الشكر على هذا التكريم، ومراعاة ومعرفة قدر النفس الإنسانية. فقال تعالى **﴿...وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ...﴾** فالنفس الواحدة عند الله تعدل الناس جميعاً. **﴿...مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا...﴾**[٢١٦].

وبما أنّ الإنسان يعتريه النسيان لما حباه الله به من هذا التكريم فقد فرض الله سبحانه عليه الحفاظ على أمنه وحريته. وهذا فرض على كلّ إنسان بذاته، وأوجب عليه عِقاباً في جهنم إذا فرّط فيه لأنّه كُفر بنعمة الله **﴿...فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾**[٢١٧]. وبما أنّ العِقاب على الإنسان في عدم محافظته على أمنه وحريته هو الإلقاء في جهنم في الدار الآخِرة فقد أرسل الله سبحانه الرسل بشرعه ليبلغوه للناس لُطفاً بهم لمعرفة كيفية التعامل. وهو أفضل الشريعات والقوانين التي تناسب الإنسانية. فما أرسل الله رسله إلا رحمة لعباده. فكانوا منارات للأخلاق والسلوك، وكانت رسالاتهم لإرساء دعائم الأخلاق ومكارمها ونشر المحبّة والسلام. قال تعالى **﴿...إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾** فلم يشترط فيهم الإسلام لتشملهم هذه الرحمة، وقال في خاتم رسالاته **﴿نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾**[٢١٨] كي لا تُبعِد الذنوب العباد عن ربّهم الودود الكريم حتى وإن أسرفوا في ارتكابها **﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا...﴾**[٢١٩]. وقال خاتم الأنبياء والمرسلين **"حببوا الله إلى عباده يحبكم الله"**[٢٢٠].

---

[٢١٥] سورة الشورى : ١٩
[٢١٦] سورة المائدة : ٣٢
[٢١٧] سورة النحل : ١١٢
[٢١٨] سورة الحجر : ٤٩
[٢١٩] سورة الزمر : ٥٣
[٢٢٠] الطبراني في الكبير

معنى "الحُكم" في القرآن

لم يُرسِل الله رسله لإنشاء دول باسم الدين، وأخذ أموال الناس عنوة كما أوضحت من قبل، وإن كانت الزكاة المفروضة في إقامة الشعائر لمن يرغب في الدين، بل لم تكن رسالاتهم إلا للبلاغ **﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ...﴾** لا للتسلط على الناس وأخذ أموالهم **﴿...لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا...﴾**[٢٢١] ولكن صار الدين بعد النبي سلطة وكسباً للمال حتى من يؤم الناس في الصلاة في الدول الإسلامية وغير الإسلامية يأخذ أجراً على العبادة. وما فُرِض العقاب في الدنيا على الشعائر كالصلاة والصوم والحجّ والزكاة، بل ترغيب وترهيب للآخِرة فقط في هذه العبادات، بينما العِقاب مطروح على الخلل في المعاملات بين الناس لحفظ الحقوق والحريّات، وهذا لا يُفرض عليهم بل يبلغون به ليتخذوه في حياتهم إن أرادوا لإقامة المجتمع الفاضل. أما ما حدث بعد "السقيفة" فهو إنشاءٌ لدولة لها سلطة باسم الدين، وليس الاستمرار في البلاغ بما جاء به الرسول، ولا ما كان عليه الرحمة المهداة، وصار الحاكم هو الذي يفرض الدين فرضاً على الناس، ويملك رقابهم ويقتل من يخرج على مُلكه "باسم الله". وأصبح الحاكم رأساً لدولة تقام باسم الدين، ولا بد للدولة من موارد مالية بالطبع، لهذا كان التفكير في جمع الزكاة قسراً، وتمّ قِتال من رفض دفعها حتى ولو كان مسلماً كمالك بن نويرة. ونُزِعت أرض فدك من فاطمة عليها السلام لتمكين الدولة، ونزع الموارد عن آل بيت النبي العظيم..!

ذكر الله سبحانه أنه أعطى رسله حُكماً لا مُلكاً كما جاء في القرآن العظيم، ولم يُعط المُلك إلا لداود وسليمان عليهما السلام. وكان ملكهما لإقامة العدل في دولة فقدت من كان يملكها، لا من أجل التسلط على العِباد باسم الله. والفرق شاسع بين مفهوم الحُكم والمُلك.

فالحُكم لا يعني المُلك والسيطرة ولا شأن له بذلك، وقد إنحرف به أصحاب الأهواء إلى هذا المعنى ليجعلوا من الدين دولة ليتسلّطوا على الناس باسم الله افتراء عليه. وحرّفوا معنى كلمة "الحُكم" التي جاءت في الرسالات ليستندوا إليها في إنشاء دولهم الدينية التي ما أنزل الله بها من سلطان. فالحُكم حقيقة هو تبيان الحقوق والواجبات وصحّة التعامل بين الناس وليس للسيطرة عليهم. وهو تبيين الحدّ الأدنى من صحة التعامل ووضع الأمور في نصابها للحفاظ على الأخلاق، وهذا هو الذي جاء به الرسل لتبيانه وهو الرسالات. قال تعالى عن موسى عليه السلام **﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا...﴾**[٢٢٢] ولم

---

[٢٢١] سورة هود : ٥١

[٢٢٢] سورة الشعراء : ٢١

يكن موسى صاحب سلطة بل كان في حالة خوف وفرار. فلا يعني الحُكم الذي وهبه له الله سوى الشريعة أي القانون الذي يبين الحقوق والواجبات، ويحفظ صحّة التعامل لخلق المجتمع الفاضل. قال تعالى **﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾**[٢٢٣] فهل كان يحيى عليه السلام صاحب سلطة في صباه؟ إن المقصود بالحكم هنا هو الرسالة أو الشريعة التي يُرجى أن يتعامل بها الناس بتبيانها لهم من قِبَل المرسلين ولا تُفرض عليهم. وهي السلوك الأمثل لخلق المجتمع الفاضل الذي يريده الله لعِباده. **والحُكم الذي هو الشريعة هو القانون الذي يحفظ الحد الأدنى من الأخلاق لتعامُل الإنسان مع الآخَر، ومع نفسه ومع غيره من الكائنات لإعطاء كلّ ذي حقّ حقّه ولا يعني السلطان،** وفوق ذلك مرتبة العفو الذي هو أسمى من أخذ الحقّ بالشرع، ثم فوق ذلك الإحسان الذي يزرع الحبّ في النفوس، فيخلق في المجتمع حبّاً يتسامى فيه الناس عن الاحتكام إلى الشرع. قال صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله **"تهادوا تحابوا"**[٢٢٤]. ومجتمع الحبّ هو أسمى المجتمعات وأعلى مقاصد الرسالة. وإن كان للرسل سلطان فهو حِفظ الله لهم من أن يُعتدى عليهم في إبلاغهم للرسالة، وليس التسلّط والسيطرة على العِباد. قال تعالى **﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا...﴾**. وسلطان الرسل هو الحماية الإلهية، فلا حاجة له للشرطة أو الجند الذين يحتاجهم المتسلطون عادة لمنع الناس عنهم. وإذا ارتضى الناس الشرع الذي جاء به الرسول فإنّ ذلك لا يعطيه سلطاناً عليهم **﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾** ولا يكون بعد ذلك إلا رقيباً على المعاملات للتذكير للناس بإحسان التعامُل **﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾**[٢٢٥].

قال تعالى **﴿...فَإِن جَآؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ...﴾**[٢٢٦] فالحُكم هنا هو تبيين الحقّ، وهو القضاء وليس التسلّط. **﴿...وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾**[٢٢٧] ولا يكون الحُكم إلا إذا جاءوا يطلبونه. وقال تعالى **﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ...﴾**[٢٢٨] فالحُكم يعني تبيان الحقّ، ولا يتبع ذلك تسلّط أو إكراه من الذي يحكُم على الذين يحتكمون إليه، لأنّ الحُكم لا يكون إلا بطلب من الناس **﴿...فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ...﴾**[٢٢٩] ولا يُفرض عليهم. قال تعالى **﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ...﴾**[٢٣٠] فالناس هم الذين يطلبون الحُكم **﴿...يُحَكِّمُوكَ...﴾** ولكن لا يتمّ لهم الإيمان إلا إذا قبلوا بالحُكم ويسلّموا به لأنّهم جاءوا من أجله **﴿...ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾**[٢٣١]. فالذين يطلبون الحُكم يجب عليهم أخلاقياً

---

[٢٢٣] سورة مريم : ١٢
[٢٢٤] البخاري
[٢٢٥] سورة الغاشية : ٢١-٢٢
[٢٢٦] سورة المائدة : ٤٢
[٢٢٧] سورة المائدة : ٤٢
[٢٢٨] سورة ص : ٢٢
[٢٢٩] سورة ص : ٢٢
[٢٣٠] سورة النساء : ٦٥
[٢٣١] سورة النساء : ٦٥

الالتزام بما يحكم به. ولا يُفرض عليهم قبوله، ولكن عدم الالتزام به يدل على عدم الأخلاق ممن جاء لأجله.

قال تعالى ﴿**...فَقَالُواْ هَـذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ**﴾[٢٣٢]. فما يحكمون هنا لا يعني السلطان. فالرسل عليهم السلام آتاهم الله سبحانه الحُكم، وهو الشرع أي القانون من أجل تبيين الحقوق، وصحّة المعاملات لخلق المجتمع الفاضل ليبلِّغوا ذلك للناس، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ولا يُفرض عليهم. قال تعالى ﴿**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ...**﴾ وقال تعالى ﴿**فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ . فالحُكم هو القانون أي الشرع الذي يخلق المجتمع الفاضل السليم من التنازع والإقصاء والاستحواذ، ويقوم على الحِفاظ على الحقوق واحترام الإنسان، وهو ما جاءت به الرسل لإبلاغ الناس به دون إكراه. وبما أنّه قانون إلهي ورحمة من الله اللطيف بعباده، فلا يوجد للعِباد أفضل منه للتعامل به من أجل خلق المجتمع الفاضل، لذلك لا يحتاج أن يُفرض على الناس قسراً أو يتم اكراههم على قبوله. فالطيّب جاذب بطبعه، فما على الرسل إلا إبلاغ الناس به وتعريفهم إيّاه، ولا يحتاج إلى أكثر من ذلك لقبوله. فالرسل هم منارات الأخلاق، وما جاءوا به لا يخالف ما هم عليه، ولا يوجد في جميع رسل الله من يقسو على المخطئ أو من يقوم بقتل من يعصيه، بل إنّ الله سبحانه نفسه ما قتل من عصاه واستكبر عليه، وقال له في حضرته طاعناً في أمره ورافضاً له ﴿**...أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا**﴾[٢٣٣] وقال له ﴿**...أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ...**﴾[٢٣٤] واستطرد في سوء أدبه مع الله سبحانه وتعالى ﴿**قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً**﴾[٢٣٥] ﴿**ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**﴾[٢٣٦] فكيف كان الردّ الإلهي على هذا الاستكبار والوقاحة وسوء الأدب ﴿**قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاء مَّوْفُورًا**﴾[٢٣٧].

إنّ عصيان الله ورسله لا عقاب عليه في هذه الدنيا، بل متروك لله سبحانه ليوم القيامة فإن شاء عاقب وإن شاء غفر. فما أقبح وأسوأ من يتسلّط باسم الدين، والجلوس على كرسي الألوهية، وممارسة الربوبية بمحاسبة الناس على أعمالهم، وعقابهم على عدم التزامهم بالدين. فيجعل المتسلّط باسم الدين لنفسه في هذه الدنيا ما لله في الآخرة. فيقتل من عصى الله في العبادات، والصحيح هو اتباع ما كان عليه رسول

---

[٢٣٢] سورة الأنعام : ١٣٦
[٢٣٣] سورة الإسراء : ٦١
[٢٣٤] سورة الأعراف : ١٢
[٢٣٥] سورة الإسراء : ٦٢
[٢٣٦] سورة الأعراف : ١٧
[٢٣٧] سورة الإسراء : ٦٣

الله صلى الله وبارك عليه وآله وما جاء واضحاً في القرآن الكريم ﴿**فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ**﴾[٢٣٨] .

وصلنا في الموروث إنّ عمر بن الخطاب كان غاضباً مما فعله خالد بن الوليد في قتله لمالك بن نويرة ، ولم يكن على رأي الخليفة أبي بكر في الأمر، إذ قال لخالد: "قتلت امرأً مسلماً ونزوت على امرأته والله لأرجمنك بأحجارك"[٢٣٩]. لكنه لما صار خليفة بعد أبي بكر لم يرجمه بأحجاره، كما صرّح من قبل، بل عزله عن قيادة المحاربين فقط، وقد قبِل عمر بالإمارة بوصية ممن قال إنّ بيعته كانت فلتة. ثم آلت الخلافة لعثمان بن عفان نتيجة لوصيته.

[٢٣٨] سورة الشعراء : ٢١٦
[٢٣٩] ابن اسحق

لا إسلام لمُكرَه

لقد فهِم الناس أنّ الإسلام هو فقط رسالة محمّد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله. لكن **الإسلام في الحقيقة هو رسالة كلّ الأنبياء الذين جاءوا بالدين من عند الله**. كما قال تعالى **﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ...﴾**، فما جاء موسى عليه السلام إلا بالدين أي بالإسلام، فالتوراة **﴿...يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ...﴾** وجاء عيسى عليه السلام بالدين أي بالإسلام وبكِتاب الإنجيل، وجعل الله الذين اتّبعوه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، وليس إلى بِعثة محمد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله. قال تعالى **﴿...وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ...﴾**[٢٤٠] فيجب على كلّ من يريد تبرئة ذمّته أن يقول موقناً قول الله تعالى **﴿...لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ...﴾**، ويصدِّق قول الرسول صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله **"الأنبياء إخوة أمهاتهم شتى ودينهم واحد"**[٢٤١] فكلّهم مسلمون، ومن تبعهم وهو مؤمن بهم فهو مسلم إلّا من رفض الاعتراف بأحدهم أو بكتبهم. قال تعالى **﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا...﴾**[٢٤٢] لا كما أفتى بعضهم ببطلان التوراة والإنجيل. وأما الذي يرى في تفسير سورة الفاتحة بأنّ المقصود بـ "المغضوب عليهم" هم اليهود، وأنّ "الضّالين" هم النصارى فقد احتمل بهتاناً وإثماً كبيراً. قال تعالى **﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾**[٢٤٣] ، ولا توجد أفضلية قوم على قوم، إنما الأفضلية عند الله في رسله وأنبيائه **﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ...﴾** ، وتفضيل الرسل يُلحِق بهم ذريّاتهم كتفضيل ذريّة إسرائيل عليه السلام **﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾**[٢٤٤]، وعترة محمد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله الذي قال فيهم في القرآن الكريم **﴿...قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى...﴾**[٢٤٥] وجاء في الحديث الشريف **"إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي"**[٢٤٦]، فالذين آمنوا هم قوم محمّد، والذين هادوا هم قوم موسى، والنصارى قوم عيسى، ولا يفضل قوم قوماً إلا بأعمالهم وتقواهم. قال تعالى **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**. أما قوله تعالى **﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾**[٢٤٧] فلا تعني أفضلية "الذين آمنوا" أو الأعراب على النصارى واليهود.

---

[٢٤٠] سورة آل عمران : ٥٥
[٢٤١] البخاري
[٢٤٢] سورة الجاثية : ٢٨
[٢٤٣] سورة الأعراف : ١٥٩
[٢٤٤] سورة البقرة : ٤٧
[٢٤٥] سورة الشورى : ٢٣
[٢٤٦] مسلم
[٢٤٧] سورة آل عمران : ١١٠

إنما جاء الوصف بالخيرية للأعمال التي تجعلهم كذلك ﴿**...تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ...**﴾[٢٤٨] وهذا الوصف موجود في أهل الكتاب الذين قال الله فيهم ﴿**...مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَـئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾[٢٤٩] .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يعني السيطرة والإكراه، فذلك لم يُعطِه الله حتى للرسل عليهم السلام. فقد قال تعالى لخاتم المرسلين صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله ﴿**لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ**﴾ وقال له في حالة الاعراض عن رسالته ﴿**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ...**﴾ ولا يُعاقِب ويقتل من يعصي أمره. قال تعالى ﴿**فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ فكيف تكون هناك سُلطة لمن يقول إنّه يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويفرض نفسه على الناس الذين لم تأت الرسالات السماوية إلا لحريتهم وأمنهم ﴿**...فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ...**﴾؟، والمسلمون هم كل الأقوام الذين آمنوا طوعاً برسلهم، ولم يفرّقوا بين أحد من رسل الله، ولا ينحصِر إسم المسلمين على قوم محمّد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله أي الذين آمنوا، كما أسلفت، بل يشمل الذين هادوا، والنصارى الذين آمنوا طوعاً برسلهم، ولم يفرّقوا بين أحد من المرسلين.

إنّ كل من أسلم خوف السيف فهو منافق. لهذا فإنّي أرى أنّ الدين الذي انتشر بحدّ السيف هو النفاق في الحقيقة وليس الإسلام. لهذا انقلب مفهوم الإسلام من الرحمة إلى العنف، وظهر النفاق مكان الأخلاق، فلم تكن الرسالات لتكوين دول باسم الدين. فمحمّد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله لم يُنشيء دولة بالمدينة بالمعنى السياسي كما يظن بعض المضللين لإثبات شرعية الدولة الإسلامية، وتحريف معنى الحكم في القرآن إلى "السلطة". فقد أنشأ رسول الله صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله مجتمعاً معافى لا يحتاج إلى حكومة تفرض عليهم كيفية المعاملات بالقهر والتسلط. فكلّ فرد في المجتمع المدني في عهد رسول الله صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله كان يعلم حقوقه وواجباته نحو نفسه وجاره ونحو المجتمع حتى إماطة الأذى عن الطريق. فغاية الرسالة هي الاستغناء، وعدم الحاجة إلى حكومة وسلطة تُفرض على الإنسان المكرّم عند الله، وليس ما اتخذه الناس للتسلّط على الناس باسم الدين بإنشاء الحكومات مخالفين بذلك القصد من الرسالات، الداعية لخلق المجتمع الفاضل الذي لا يحتاج لمن يسوسه بالقوة والقهر، بل لمذكِّر بسموّ الأخلاق والفضيلة ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ**﴾[٢٥٠]. وقد فهِم أصحاب البلاد التي فُتِحت باسم الإسلام بواسطة الأعراب وتمّ استعمارها تحت بند الفتوحات الإسلامية أنّ الدخول في الإسلام لا رحمة فيه، بل إنّ السيف هو الأساس للدعوة إلى الإسلام. وصار العنف في الفقه

---

[٢٤٨] سورة آل عمران : ١١٠
[٢٤٩] سورة آل عمران : ١١٣-١١٤
[٢٥٠] سورة التغابن : ٢١-٢٢

عند أتباع الرسالة المحمّدية هو الأساس في الفتوى، فقد أفتوا بالتقرُّب إلى الله بقتل أصحاب الديانات السابقة من اليهود والنصارى وإن لم يكونوا محاربين، وهم الذين جاء القرآن مصدِّقاً لكتبهم ومادحاً لبعضهم.

كما فقد عند "المسلمين" الدين الذي هو في حقيقته الرحمة التي أرسلها الله لعباده **﴿...إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾** وأكّد عليها سبحانه **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾** ويزيد الأمر إيضاحاً قول النبي **"إنما أنا رحمة مهداة"**[٢٥١] ، ولكن قال تعالى **﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ...﴾**[٢٥٢] فجاء بعض علماء الضلالة باختيار آية من القرآن الكريم، وسمّوها آية السيف من صُنع أفكارهم **﴿...إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾**[٢٥٣] ، ونسخوا بها كلّ آيات الرحمة التي أنزلها الله في كتابه، كأنّ رسالات الله التي بعث بها أنبياءه لعباده القصد منها ترصُّد أخطائهم لتعذيبهم، وسمّوا الرحيم الذي رحمته سبقت غضبه بالمُخيف بدلاً عن المحبوب الرؤوف اللطيف بعباده، الذي قال **﴿...يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ...﴾**[٢٥٤] وبدّلوا الرحمة بالعذاب، والتنفير والتكفير رغم قول الرحمة المهداة صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله **"يسّروا ولا تعسّروا وبشّروا ولا تنفّروا"**[٢٥٥]. فعكسوا ما بلّغ به الرسول الذي قال **"حبّبوا الله إلى عباده يحبكم الله"**[٢٥٦]، وبدّلوا نعمة الله اللطيف، الرؤوف، الرحيم، الغفور، الغفّار، التوّاب، الحليم، الودود، العفو، الوهّاب، الرزّاق، الباسط، الرافع، الشكور، الكريم، بسوء ظنّهم بربّ العالمين، وجعلوه "المُخيف". قال تعالى **﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنْ الْخَاسِرِينَ﴾**[٢٥٧].

أشار النبيّ الكريم إلى امرأة تحمل طفلها فقال لهم **"أترون هذه المرأة طارحة بولدها في النار؟ قالوا كلا يا رسول الله قال الله أرحم بعباده من هذه بولدها"**[٢٥٨] ولم يخصّ المسلمين بالرحمة بل قال بعباده. فتبارك من قال **﴿نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾**[٢٥٩] المبيّن في محكم تنزيله **﴿...إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾**[٢٦٠] فهو الرؤوف الرحيم بكل الناس، ولم يجعل رأفته ورحمته بالمسلمين فقط، وأنزل على رسوله **﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾**[٢٦١]. فالمطلوب هو حُسن الظن بالله. قال صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله **"لا**

---

[٢٥١] البخاري
[٢٥٢] سورة الأنعام : ١١٦
[٢٥٣] سورة ص : ٧
[٢٥٤] سورة البقرة : ١٨٥
[٢٥٥] البخاري ومسلم
[٢٥٦] الطبراني في الكبير
[٢٥٧] سورة فصلت : ٢٣
[٢٥٨] رياض الصالحين
[٢٥٩] سورة الحجر : ٤٩
[٢٦٠] سورة الحج : ٦٥
[٢٦١] سورة الزمر : ٥٣

يموتن أحدكم إلا وهو يُحسِن الظن بالله"[٢٦٢] وكلّ رسل الله عليهم السلام لم يُرسلوا لقتال الناس، ولا للحروب لفرض رسالاتهم على الكفار والمشركين. قال تعالى ﴿**...إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ...**﴾. لذلك طلب بنو إسرائيل من نبيّهم أن يُعيّن لهم مِلِكاً للقتال ليردّهم إلى ديارهم وأموالهم التي أُجبِروا على تركها وأُخرِجوا منها، لأنّ القِتال ليس شأن الأنبياء بل شأن الملوك.

وأرجو أن لا يفهم مما سبق بخصوص رفضي للدولة السياسية باسم الله "الخلافة" أنّني ضد إقامة أطر تنظيمية للمسلمين أو غيرهم على شكل دولة مدنية بها مؤسسات ووزرارات وجند وأمن، ولها علاقات دبلوماسية مع غيرها من دول العالم، بل كان المقصود مما أشرت إليه أن لا يتم نسب هذه الدولة، سواء كانت إسلامية الطابع أم مسيحية أم غيرها، إلى الله أو الإدّعاء بأنّها تمثل الدين، أو تكتسب شرعيتها أو شرعية حاكمها من الله تعالى، أو تتحدث باسمه، فثمّة فرق هائل بين دولة يسكنها مسلمون أو دولة إسلامية، وهذا بالطبع لا ينفي أيضاً إقامة الشرع أي القضاء وأسس التعامل بين الناس حسب معتقداتهم والفقه الناظم لهم.

[٢٦٢] مسلم

معنى "الجهاد في سبيل الله"

طالب ملأ من بني إسرائيل أحد أنبيائهم ليُعيّن لهم مِلِكاً للقتال في سبيل الله، وهم القوم الذين أخرِج أسلافهم من ديارهم حول نهر النيل في عهد فرعون موسى، فأرادوا أن يعودوا لاسترداد ديارهم وأرضهم التي أُخرِجوا منها. والقتال في سبيل الله هنا يعني رفع الظُلم عنهم وعودتهم إلى أرضهم وديارهم، وليس قتالاً لاجبار الناس على الدين وعبادة الله سبحانه، فلو كان القتال في سبيل الله الذي ذكروه هو من أجل الدين، لكان النبيّ الذي طالبوه بتعيين مِلِك لهم أولى بقيادتهم لتنفيذ مرادهم، وهذا يدُل على أنّ قتالهم الذي يريدونه مقصود به العودة إلى ديارهم التي أُخرجوا منها من مملكة كوش في عهد فرعون موسى[٢٦٣]؛ لأنّه لا توجد رسالة لنشر الدين بالقتال أساساً؛ ولم يكونوا مرسلين كي يقاتلوا لهذا السبب. فلا يعني القتال في سبيل الله هنا إلا عودتهم إلى ديارهم وأرضهم التي أُخرجوا منها. **وإصلاح أيّ أمر إلى الوضع الذي يُستحسن أن يكون فيه ذلك الأمر، يُدعى في سبيل الله كالإنفاق على معسر وعلى طلاب العِلم أو إعانة مظلوم لاسترداد حقه،** لأنه الوضع الأمثل لمنهج الأخلاق الذي جاءت به جميع الرسل عليهم السلام، وهو الذي بُعِث به محمد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله ليتمّمه. فمن كان ذلك نهجه ومات عليه مات في سبيل الله. قال صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله **"أكثر شهداء أمتي أهل الفُرُش"**[٢٦٤] وهم الذين يتحلّون في حياتهم بحسن الخُلق في تعاملهم، والإحسان إلى الخلق مع إنكار الذات، لا يريدون بذلك علوّاً في الأرض.

طالب أولئك الملأ من بني إسرائيل بالقتال وليس الجهاد، **لأنّ الجهاد لا يعني القتال** قال تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ...**﴾[٢٦٥] ، ومعلوم أنّ المنافقين لا يُقَاتَلون، وذلك لإظهارهم الإسلام، كما أنّ الغلظة تكون في اللفظ وليس في القتال. فأغلب الأذى الذي لقيه النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ليس من الأعداء، بل ممن حوله من بعض الأعراب الذين يقال عن بعضهم "أصحاب" حتى أنزل الله سبحانه فيهم ﴿**...وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ...**﴾، والقرآن مدح المهاجرين والأنصار ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ...**﴾ فالأنصار لهم الأفضلية على المهاجرين بالسبق بالإيمان كما وضحت هذه الآية الكريمة. ولم يمدح الله الأصحاب أبداً، لأنّ الصحبة لا تعني الموافقة في الرأي أو الاعتقاد كما ذكرنا من قبل، فقد يكون الصاحب منافقاً أو كافراً قال صلى الله

---

[٢٦٣] انظر كتابنا " بنو إسرائيل في أرض كوش" إصدار مؤسسة أونيكس والمؤسسة العربية - ٢٠٢٠

[٢٦٤] مسند أحمد بن حنبل

[٢٦٥] سورة التوبة : ٧٣

وبارك عليه ووالديه وآله **"في أصحابي اثنا عشر منافقاً منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط"**[٢٦٦] وقال **"ما أوذي أحد مثل ما أوذيت"**[٢٦٧] وقال تعالى **﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾**[٢٦٨] وقال تعالى عن القرآن العظيم **﴿...وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾**[٢٦٩] وقال تعالى **﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا...﴾**[٢٧٠] فجهاد الأبوين للإبن ليس إلا الاجتهاد والمحاولة للإقناع. فالجهاد لا يعني القتال، ولكن أكثر الناس لا يعلمون. وأعظم الجهاد هو جهاد النفس، ولا يعني ذلك قتلها، أي الإنتحار، بل هو إحسان السلوك واجتناب الموبقات. قال تعالى **﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا...﴾**[٢٧١]. واتخذ الذين مرجعيتهم أهواؤهم من كلمة الجهاد ذريعة لحروبهم الاستعمارية باسم الإسلام، **ولم يُبعث محمد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله لمحاربة اليهود والنصارى، بل جاء مصدِّقاً لما معهم**، كما أوضحت من قبل، فخرج الأعراب عن ما جاء به الرحمة المهداة، واتخذوا السيف بديلاً، إنحرافاً بذلك عن منهج الأخلاق الذي بُعِث به محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله، الذي جعل الكلمة الطيبة صدقة، وحرّم الاعتداء بكلّ أنواعه. **وما أهلك الله سبحانه الكفار والمشركين لكفرهم وشركهم إلا من بعد ما همّوا بإيذاء رسله ﴿...وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ...﴾**[٢٧٢]. **فالكفر والشرك يعالَج بالبلاغ من الرسل وليس بالقتل والهلاك**، ولا يُكرهون على قبول الرسالة لأنّه لا إكراه في الدين **﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ...﴾ ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾**.

بعد انتقال النبيّ محمّد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله، أصبح الخليفة حاكماً يُكره الناس على مبايعته، ويقتلهم إن رفضوا طاعته، ولم يدفعوا له الزكاة. فكان أبو بكر أول أمير أكره الناس على مبايعته، وبدأ بطلب ذلك من عليّ عليه السلام، الذي قال عنه النبي صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله **"من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه"**[٢٧٣] وعلي أولى بالمؤمنين من أنفسهم بعد النبيّ صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله، فكيف يطلب أبو بكر البيعة منه وهو وليّه وولي كلّ مؤمن ومؤمنة؟ لا يوجد تفسير لذلك إلا على اعتبار أنّ الأمر هو قيام دولة سياسية باسم الدين وسلطة بالسيف، فالخليفة لم يلتفت إلى قول النبيّ صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله **"من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه"**، وقام بفرض سلطته على الناس، ولفتهم عن رسول الله وعن

---

[٢٦٦] مسلم
[٢٦٧] أبو نعيم
[٢٦٨] سورة العنكبوت : ٦
[٢٦٩] سورة الفرقان : ٥٢
[٢٧٠] سورة لقمان : ١٥
[٢٧١] سورة العنكبوت : ٦٩
[٢٧٢] سورة غافر : ٥
[٢٧٣] الترمذي

الاهتمام به والصلاة عليه، وقال "من كان يعبد محمداً فإنّ محمداً قد مات"[٢٧٤]، وهذه الأحداث منقولة بالتواتر في الموروث الذي وصلنا، فمن لا يقبل للخليفة الأول أن يكون في هذا المقام فليأتنا بروايات أخرى نقيضة، أو فليعترف بأن هذا الموروث بحاجة إلى تنقية مما طاله. وإنّ المرء ليعجب أنه لم يكن هناك ألفين أو ثلاثة آلاف من المسلمين من أهل المدينة على الأقل حضوراً عند وفاة النبي، بل كلّ أهل المدينة كان يُتوقع أن يكونوا حضوراً منذ وفاته يوم الأثنين حتى تسوية مرقده يوم الأربعاء فماذا حدث؟

لا أرى إلا أنّها نقلة للناس عن النبي وانقلاب على الأعقاب بحق ما جاء به، فهو مات في نظرهم وانتهى دوره عندهم. والتلقِّي والأخذ أصبح الآن عن الخليفة الذي وضع نفسه مكان رسول الله وصرف الناس عنه. لنعترف أن الخلافة قد غدت إمارة وسيطرة وإكراهاً وتم اتهام من كان له ولاء لرسول الله بعبادته، فإنّ عهد رسول الله عندهم قد ولى، وهذا عهد جديد تجب فيه طاعة الخليفة الحاكم، ومن يخالفه يُقتل، وبدأت التصفية باتهام من رفضوا دفع الزكاة بالرِدّة وأباحة دمائهم و"النزو" على نسائهم المسلمات، وهذا تمّ من القادة فما بالكم بالجند..!

لهذا لا يصح أن يقال لعليّ عليه السلام "أمير المؤمنين" لأنّ النبيّ لم يكن ملكاً ولم يطلق على أحد من أتباعه الإمارة، بل وصفه بـ "مولى المؤمنين" ، وهذه صفة لم ينزعها عنه أبو بكر، كما يقول أصحاب المذهب الشيعي، لإنهّا لا تكون لغيره، وغير قابلة للنزع. يقول شيعة آل البيت إنّ أبا بكر اغتصب الخلافة من عليّ عليه السلام، لكن أبا بكر لم يغتصب من علي شيئاً في الحقيقة، ولا يستطيع أن يسلبه الولاية على المؤمنين التي جعلها له رسول الله، ولا يتعلق أمر أبي بكر إلا بالإمارة والتسلّط على الناس. فالأمير أو الخليفة صاحب السلطان هو أبو بكر، ومولى المؤمنين هو عليّ عليه السلام، ومع معرفته بهذا الأمر لم يقم بمنازعة أبي بكر على الحكم، لأنّه يعرف أن الدين ليس حكماً سياسياً ولا خلافة أو سلطة.

والحقيقة أنّ الأديان لا وطن لها لأنّها ليست حكومات، إنّما هي رسالات لإصلاح الإنسانية كافة. وإن كانت الرسالات السابقة قد حصلت في مواطن محددة، فلا يعني ذلك انحصارها في وطن، بل لمن كانوا في تلك البقعة التي جاءتهم فيها الرسالة. فليس لليهودية ولا المسيحية ولا الإسلام وطن، بل هي رسالة للبشرية كافّة وطنها قلوب المؤمنين. قال تعالى **﴿...لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ...﴾**[٢٧٥] فقد جاء الرسل برسالة الأخلاق التي جاء محمّد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله ليتمّمها. ولقد انحرف قومه الأعراب عن منهج الرسالة الذي هو البلاغ للناس وليس التسلط عليهم **﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾**، وجعلوا الإسلام دولة يتسلط رئيسها على الناس ويكرههم على ما يريد من فهمه لمذهبه على الدين الذي قال الله عنه **﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...﴾** بل ليُشهِروا السلاح ويعتدوا على الدول الأخرى لإجبارها على طاعتهم

---

[٢٧٤] البخاري

[٢٧٥] سورة البقرة : ٢٨٥

بإسم الإسلام والإسلام من ذلك براء. وقالوا إنّ للإسلام دولة وهي دار الإسلام وغيرها هي دار حرب ليستحلّوا أموال الناس بالباطل، ويسترقّوهم باسم الدين اختلاقاً من عند أنفسهم. فليس للإسلام دولة تحصره وتسمّى بإسمه، فهو دعوة للأخلاق للناس كافّة، جاء بها كل الرسل من الله رحمة لعباده **﴿...إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ...﴾** فهو الرحيم وكتب الرحمة على نفسه، وجاء في الحديث القدسي **"رحمتي سبقت غضبي"**[٢٧٦] وقال تعالى **﴿...إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾** وأظهر حبّه لخلقه في محمد فقال له **﴿...فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا...﴾**[٢٧٧] وصلى عليه هو وملائكته ومدحه بالخُلق العظيم. فللناس كلّ الناس الأمن والحرية وهو ما جاءت به الرسالات، ولا يُكرَهون على قبول ما جاءت به الرسل لتكوين مجتمعاتهم، بل لهم الحقّ في اختيار الأسلوب الذي يديرون به مجتمعاتهم من أنواع السلطة الإدارية والتحاكم الإقليمي. والدين هو علاقة الإنسان بربّه، ولا يُكرَه عليه لأنّه الأخلاق للتعامل. وإذا كانت الدعوة إلى الأخلاق فلا يمكن إلا أن تصدر ممّن يمثلها، ولا تُفرض بالقوة والسلطان. فالله سبحانه الملِك العزيز لم يُكره إبليس على طاعته حينما عصاه في حضرته واستكبر وقال له **﴿...أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾**[٢٧٨]، فأي بيان يريده الناس أكثر من ذلك في عدم الإكراه على طاعة الله سبحانه وإجبار الناس على الدين والتسلط عليهم باسمه؟

ولم يُسلِّم الأعراب لرسول الله صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله تسليماً، ولم يستجيبوا له حين دعاهم لينفِروا في سبيل الله. قال تعالى **﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾**. وقد عاب الله عليهم تصرفهم في تقاعسهم عن العمل في سبيل الله وركونهم إلى الدنيا بدلاً عن الآخرة قال تعالى **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾**[٢٧٩] وتوعدهم الله سبحانه بالعذاب الأليم في هذه الدنيا قبل الآخرة واستبدالهم بقوم آخرين **﴿إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[٢٨٠]. وقد نهاهم الله سبحانه من أن يتناجوا في مجالسهم بمعصية الرسول وارتكاب الآثام والمعاصي قال تعالى **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ...﴾**[٢٨١] ونهاهم عن إذية رسول الله قال تعالى **﴿...وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ...﴾**[٢٨٢] وقال لهم **﴿...لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى...﴾**[٢٨٣].

---

[٢٧٦] البخاري
[٢٧٧] سورة الطور : ٤٨
[٢٧٨] سورة الإسراء : ٦١
[٢٧٩] سورة التوبة : ٣٨
[٢٨٠] سورة التوبة : ٣٩
[٢٨١] سورة المجادلة : ٩
[٢٨٢] سورة الأحزاب : ٥٣
[٢٨٣] سورة الأحزاب : ٦٩

جاء في الموروث أنّ النبيّ صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله كان معه قرين ولكن الله أعانه عليه فأسلم. فمن يرى ذلك لم يترك من الكُفر شيئاً فليقل في جهالته كان مع الرسول قريناً ولكن ما سلك عمر فجّاً إلا سلك الشيطان فجّاً غير فجّه، وليعرف من هو رسوله الذي لا يقربه الشيطان. لقد أصبح الموروث سلطاناً طاغية يُقتل كل من خرج على حُكمه. وانعدمت فيه الرحمة التي أرسلها الله لعِباده وجاء محمد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله ممثلاً لها **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ "إنما أنا رحمة مهداة".** ولم يكن حاكِماً ذا سلطان قال تعالى **﴿...وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ...﴾**[٢٨٤].

[٢٨٤] سورة ق : ٤٥

صلاة الجمعة

جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله **"الصلاة وما ملكت أيمانكم"**[٢٨٥] فلماذا حرص المسلمون على ترك فريضة الظهر يوم الجمعة؟ إنّ الصلوات المفروضة في اليوم هي الفجر والظهر والعصر والمغرب والعِشاء، ولكن درج المسلمون على ترك فريضة الظهر يوم الجمعة. وذلك لأنّهم بدّلوا وقت صلاة الجمعة الحقيقي والذي هو عند الضحى، ليباشر الناس أعمالهم بعد الصلاة كما قال تعالى **﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾**[٢٨٦]. فإذا كان وقتها عند الظهيرة كما يجري اليوم، فإنّ ذلك لا يكون بعده عمل بل القيلولة والنوم **﴿...وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ...﴾**[٢٨٧].

وقد ورد في المأثور ما يشير إلى أن وقتها عند الضحى موافقا للقرآن، كما توجد روايات أخرى تقول إنّ وقتها بعد الزوال مخالفة للنصّ القرآني، ولذلك لا يعتد بها. فعن جابرٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: "كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يُصلِّي الجُمُعةَ، ثم نَذهَبُ إلى جِمالِنا فنُريحها حينَ تزولُ الشَّمسُ"[٢٨٨]. وهذا يدلُّ على أنَّ صلاة رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله كانت قَبلَ الزوالِ، لأنَّ الراوي قد صرَّحَ بأنَّ إراحتَهم لجمالهم بعدَ صلاة الجُمُعةِ كانتْ عند الزَّوالِ. وعن سَلَمةَ بنِ الأكوعِ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: "كنَّا نُصلِّي مع رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم الجُمُعةَ، ثمَّ ننصرِفُ وليس للحِيطانِ ظِلٌّ نستظلُّ به"[٢٨٩]. وهناك آثار تدل على ثبات المسلمين على أداء صلاة الجمعة في الوقت الذي صلى فيه رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله. فعن أبي سُهَيلِ بنِ مالكٍ، عن أبيه قال: "كُنتُ أرَى طِنْفِسةً (أي بساط) لعَقيلِ بنِ أبي طالبٍ تُطرَح إلى جدارِ المسجدِ الغربيِّ، فإذا غَشَّى الطِّنفِسةَ كلَّها ظِلُّ الجدارِ خرَجَ عمرُ بنُ الخطَّابِ فصلَّى، ثم نَرجِعُ بعدَ صلاةِ الجُمُعة، فنَقِيلُ قائلةَ الضُّحَى"[٢٩٠]. وقال ابنُ أبي سَلِيطٍ: "وكنَّا نصلِّي الجُمُعةَ مع عثمانَ ونَنصرِفُ وما للجدارِ ظِلٌّ"[٢٩١].

ومما يدل على أن وقت صلاة الجمعة عند الضحى المسألة التي تناولها الفقهاء في أن من شهد العيد سقطت عنه الجمعة، لأنّ أصل هذه المسألة إشتراك صلاتي العيد والجمعة في الوقت. ورغم ذلك نجد فقهاء المذاهب أجمعوا على أن الجمعة تجزئ عن صلاة الظهر!!

---

[٢٨٥] النسائي
[٢٨٦] سورة الجمعة : ١٠
[٢٨٧] سورة النور : ٥٨
[٢٨٨] رواه مسلم
[٢٨٩] رواه البخاري
[٢٩٠] كنز العمال ٢٣٣٠٥
[٢٩١] موطأ مالك

وإذا كانت صلاة الجمعة فرض وأصرّ المسلمون على أدائها وقت الظهيرة فهل الفرض يلغي الفرض؟ فإنّ صلاة الظهر فرض فما الذي يلغيه؟ هذا من أكبر الأذى لرسول الله صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله لأنّه تغيير لما جاء به وإذية له صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله، وهي بالتالي إذية الله سبحانه قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾. وكما ذكرنا فإنّ العبد المخلوق لا يستطيع إذية خالقه سبحانه إلا في حبيبه الذي يصلّي عليه. وكتبه على نفسه لأنه الرحمة ﴿...كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ...﴾.

اللهم صل وبارك على سيدنا محمد وعلى والديه وآله عدد خلقك وزنة عرشك ومداد كلماتك. في كلّ نفس يا مجيب.

تبدّلات الأهلة وخطورتها

قال تعالى: **﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ...﴾**[٢٩٢]. والشهرُ جزءٌ مِن اثني عشر جزءاً مِن تقسيم السَّنَة، والأَهِلَّةُ تُحَدِّدُ بِدايات المواقيت في الشهور، فالشهورُ مرتبطةً بالتقويم الشمسي، وليس بِظهورِ الأَهِلَّةِ. وقَد كان ظهورُ الأهِلَّةِ في الشهور يشَكِّل للعرب في الجاهلية ما احتاج إلى توضيح، إذ أنَّ الهلال الذي يظهر عندهم في ذي الحِجَّةِ مثلاً، فإنه يظهر في السنة التي تليها ناقصاً أحد عشر يوماً. فالشهر عندهم لا يَتَبَدَّل، ولكن الهلال يتغيَّر في توقيته في الشهر في كلّ سنة. وكان الحجّ عندهم في ذي الحجة؛ فإن ربطوا ذا الحجة بالهلال، فإنَّ شهر ذي الحجة سيكون في السنة القادمة متقدماً بأحد عشر يوماً. وفي السنة التي تليها باثنين وعشرين يوماً، ويتأخّر كذلك في كلّ سنة حتى يكون شهر ذي الحجة في مكان شهر ذي القعدة، ويظلّ يدور كذلك في غير توقيته الشمسي. لكنّهم لم يربطوا الشهور بالأهلة؛ ولذلك كان عندهم فرق هذه الأيام التي يُتَّخَذُ منها النسيء. فالهلال الذي يظهر عندهم في شهر ذي الحجة ليس هو ذا الحجّة. ولذلك جاءَ السؤالُ عَن الأهِلَّة مِن الأعرابِ للنبي صلى الله وبارك عليه وآله، كما قال تعالى في القرآن العظيم **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ...﴾**[٢٩٣]؛ فالأَهِلَّة تُحَدِّد في الشهور مواقيت بدءِ بعض الأعمال والعبادات مثل الحج والصيام. وكانت الشهور العربية - وليس الأهِلَّة – تحمل في الجاهلية نفس الأسماء الموجودة اليوم حيث سُمِّيَ شَهْرا جمادى الأولى والآخرة، وهما الشهران الخامس والسادس، لوقوعهما في فصل الشتاء دائماً حيث يَجمُد الماءُ في بُرجِ القوس والجدي، وبنهايتهما نهاية البرد. يقول لبيد في مُعَلَّقَتِهِ:

حَتَّى إذا سَلخا جُمادى سِتَّةً جَزَآ فطال صيامُه وصيامها

يُشيرُ إلى جمادى الآخرة بأنّه السادس "جمادي سِتَّةً"، وبعد انسلاخِهِ (الذي هو نهاية البرد) يأتي شهر رجب وشعبان -ويُطلَق عليهما "الربيع الثاني" عند العرب لوقوعهما بين الشتاء والصيف مع بقاءِ اسميهما- وتكتفي فيهما الإبل بأكل العشب الأخضر –الجزؤ- عن الماء، لذا يقول لبيد: "جَزَآ فطال صيامه وصيامها". ثم يأتي شهر رمضان في بداية فصل الصيف؛ وسُمِّيَ شهر رمضان ليحمل اسم الرمضاء؛ لوقوعه في بداية هذا الفصل ويستوي فيه الليل والنهار، ثم شهر شوال – قالوا: لأنّ الإبل تشول بأذنابها

[٢٩٢] سزرة التوبه : ٣٦
[٢٩٣] سورة البقرة : ١٨٩

فيه من الذبّان- ويشتدّ الحرّ في شهري ذي القعدة وذي الحجة الذي يناسبه لبس الإحرام، وتبدأ بعده أيام النسيء الإحدى عشر، ليبدأ بعدها شهر محرم الذي هو أول الشهور العربية، وهو يوافق الشهر السابع من الشهور الافرنجية. وتبدأ الأمطار في شهري مُحَرَّم وصَفَر إلى بداية شهر ربيع. ويكون في شهري ربيع الأول والثاني –وهو فصل الربيع الأول- نضج الثمار، وهو وقت خروج الرطب[٢٩٤] وذلك حين تكون الشمس في برج الميزان والعقرب. واستَمرَّ التقويمُ بالشهور الشمسية إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب حيث أحال التقويم من الشمسي إلى القمري الذي يكون العام فيه أقل بأحد عشر يوماً. وهذه الأيام هي التي كان يُتَّخَذُ منها النسيء المذكور في القرآن قال تعالى: **﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّه...﴾**[٢٩٥] ، وكان الكفار يقدمونها أو يأخرونها في بداية الأعوام، حتى يستطيعوا إسراع أو تأخير دخول شهر محّرم الحرام من أجل الحروب بينهم. وأصبحت الشهور منذ عهد الخليفة عمر تدور مع الأهِلَّةِ، فيجيء شهر جمادى في الصيف أحياناً، ويجيء شهر ربيع في الخريف أحياناً، وكذلك شهر رمضان فيكون زمنه حيث لا يستوي الليل والنهار، وقد يكون في بعض البلاد الليل ساعاته قليلة، ويطول النهار بصورة يصعب فيها الصيام ،وبعض البلدان يكون الليل فيها طويلاً يصعب فيها توقيت السحور والفطور. وأصبح لا وجود لأيام النسيئ التي في كتاب الله، بعد أن صار التقويم قمرياً. ويجيء ذو الحجة مرّة في الشتاء ومرّة في الخريف، ولا يُناسِب ذلك لِبس الإحرام. وكان التقويم في عهد أبي بكر كما كان في عهد رسول الله لم يتغّير. لكن عمر هو الذي غيّر التقويم. والله لطيف بعباده فلم يجعل الحج في شهر واحد **﴿...يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ...﴾** فقال تعالى **﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ...﴾**[٢٩٦] وهي الأشهر الحُرم، فمن فرض الحج في أي منها يمكنه قضاء الفريضة. وشهر ذو الحجة هو الحجّ الأكبر، ولا يتوقّف قضاء الفريضة عليه. كذلك إذا صلّيت الفرض في أوّل الوقت أو في آخره فلا غضاضة فقد أديت الواجب.

أما رمضان فأهل الكتاب صيامهم في الزمن الذي يكون فيه الليل والنهار متساويان في جميع الأرض، وهو ما يجب أن يكون عليه صيام الذين آمنوا لقوله تعالى **﴿...كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ...﴾**[٢٩٧] وصيامه بالتقويم العمري الهجري لا يكون كذلك. وجاء مرّة في زمن لم يكن فيه ليل في بلد مثل السويد، وكانت ليلة القدر والشمس في كبد السماء.

وفي الخِتام أُذكِّر نفسي بتعظيم الله لحبيبه محمد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله بقوله تعالى **﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾** وقوله تعالى

---

[٢٩٤] التحرير والتنوير
[٢٩٥] سورة التوبة : ٣٧
[٢٩٦] سورة البقرة : ١٩٧
[٢٩٧] سورة البقرة : ١٨٣

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ...﴾ وقوله تعالى **﴿...وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللهَ رَمَى...﴾** وقوله تعالى **﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ...﴾**[٢٩٨] وقوله تعالى **﴿طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾** وقوله تعالى **﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾** وقوله تعالى **﴿...حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾**[٢٩٩] وقوله تعالى **﴿...وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ...﴾** وقوله تعالى **﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾**...

والحمد لله المعطي والشكر لرسول الله القاسم، الحاشر، الرحمة للناس كافة.

[٢٩٨] سورة النساء : ٨٠

[٢٩٩] سورة التوبة : ١٢٨

الفهرست

مفتتح	٢
النبيّ العربي والأعراب	٥
إساءات المفسّرين وأهواءالمتأوّلين	١٦
تدبُّر القرآن	٢١
القلوب التي تعقل	٢٤
العِلم بالمستقبل	٢٧
الصحبة وأحوالها	٢٩
عدالة الصحابة	٣١
الرُسل والقتال	٣٦
حرّية الإنسان وأمنه	٤٢
معنى "الحُكم" في القرأن	٤٥
لا إسلام لمُكرَه	٤٩
معنى "الجهاد في سبيل الله"	٥٣
صلاة الجمعة	٥٨
تبدّلات الأهلة وخطورتها	٦٠